



التَّوْضِيحُ الْمُبِينُ لِتَوْجِيدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ

مُتَأَلِّفٌ
فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْمُسْلِمِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ
١٣٧٧ - ١٣٧٩ هـ جَيْشَةُ الْقَدَمِ

تَضَمَّنَتْ
الْفَقْرَةَ الْخَامَةَ
مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ زَلَّابُ

دَارُ عَالَمِ الْقَوَائِدِ
بِشَرْعِ الْقَوَائِدِ

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ

دَارُ عَالَمِ الْقَوَائِدِ
بِشَرْعِ الْقَوَائِدِ

المملكة العربية السعودية
مكة المكرمة - قريش : ٢٩٢٨
هاتف : ٥٥٠٥٢٠٥ - فاكس : ٥٥٠٥٢٠٥
هاتف : ٥٥٥٧٦٠١ - فاكس : ٥٥٥٧٦١٠

الْيَصِفُ وَالْإِضْرَاحُ دَارُ عَالَمِ الْقَوَائِدِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، فيبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين من ربه. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، أهل البر والوفاء، ومعدن التقوى والصفاء، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فإن علم التوحيد أشرف العلوم وأساسها، فبالتوحيد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء / ٢٥] فبالتوحيد مع رحمة الله تنال الكرامات، وترفع الدرجات، وتندفع الشرور والمهلكات. وقد ألف شيخنا عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله في هذا شرحاً لأبيات من «الكافية الشافية» لابن القيم موسوماً بهذا «كتاب شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية»، ورأيت أن أجعل عنوانه «التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية»، وقد طبع في حياة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله العظيم الكبير، الحميد المجيد، الذي له الألوهية
وصفاً كما العبودية وصفاً للعبيد، الموصوف بالأوصاف الكاملة
العلياء المدعو بالأسماء الحميدة الحسنى، الذي له كل كمال
وجلال وجمال، ولديه كل إحسان ونعمة وإفضال، الذي خلق
الخلق وأدرّ عليهم واسع الرزق ليقيموا بتوحيده ومحبه وعبادته،
فيشبههم ويثبت عليهم نعمته بأصناف كرامته، أحمدته على ماله من
وصف عظيم وإحسان جسيم، وبر وتكريم، وأشهد أنه الإله
حقاً الذي دل على توحيده جميع أدلة العقل والنقل، وأدعن
لعبوديته أهل الكمال والفضل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
أفضل العارفين، وأجلّ الموحدين، وواسطة عقد نظام الأنبياء
 والمرسلين، وهو الإمام الكامل لجميع العابدین، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن الله تعالى خلق الخلق لعبادته، وأوجدهم للقيام
بمعرفة ومحبته، ويثبت لهم في كتبه السترلة من السماء وعلى السنة
رسله تبييناً كافياً، وأوضح لهم جميع الطرق الموصلة إلى هذه
الغاية الفاضلة توضحها وإثباتها خصوصاً في القرآن العظيم وعلى

والله اعلم
بما
بين
يدين
الصفحة الأخيرة من الأصل

لسان محمد النبي الكريم، فإن في القرآن والسنة من تفاصيل معرفة الله بأسمائه وصفاته وتوحيده ما ليس في غيرهما، فتعين على العباد الإقبال عليهما، والتدبر والتفكر فيهما، إذ لا سبيل لهم إلى معرفة ما خلقوا له إلا بمعرفتهما، ولا طريق لهم إلى الوصول إلى ربهم وإلى دار كرامته إلا بالقيام بهما.

ولما كان الباري تعالى قد امتن على هذه الأمة بعلماء ربانيين، وفضلاء متقين، قد بذلوا نفائس أعمارهم، وأعمالهم جواهر أفكارهم في استخراج كنوز الوحي ومعانيه، وحل ألفاظه المعصومة ومبانيه، فحصل لهم به علم كثير وفصل عزيز، وصاروا الهداة للأمة الأئمة، واقتدى بهديهم وسيرهم وطريقتهم جميع أصناف الأمة. ومن له في هذا الشأن القدم العليا، والقدح المملئ، والبايع الأعلى: الإمامان العظيمان، والحافظان الثقتان، شيخ الإسلام تقي الدين الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، والإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، قدس الله أرواحهما، فإنه قد حصل لهما من العلم والفهم للكتاب والسنة واستخراج علومهما ما فاقا فيه كبار العلماء، وسبقا فيه الجهابذة النبلاء، خصوصًا علم التوحيد والمقائد السلفية، فإن الله من على المسلمين بهما، وبيتا لهم من ذلك عالم بيته أحد، ونصرا مذهب أهل السنة والحق نصرا عظيمًا، ودحضًا مذاهب الضالين والمبتدعين، تصفًا في ذلك المصنفات التي سارت في مشارق الأرض ومغاربها، وانتفع بها

الموافق والمخالف، ومعرفة كتبهما والوقوف عليها فيه كفاية لمعرفة أقدارهما وعلو مراتبهما.

ولما كانت الكفاية الشافية لشمس الدين ابن القيم قد اشتملت على ما لم يشتمل عليه كتاب في فن التوحيد والمقائد والأصول، واحتوت على تفاصيل كثيرة لا توجد في سائر الكتب، حتى كتب مؤلفها، وكان قد تكرر على الطلب من بعض الأصحاب في وضع تعليق عليها، قرأت ذلك من الأمور المتعسرة علي، لأنه يشدني وقتًا كثيرًا، ويشغلي عن ما هو أهم عندي منه، ثم استخرت الله تعالى على وضع شرح لطيف على توحيد الأنبياء والمرسلين منها، ومتعلقاته ما هو أهم ما فيها وأحسنه، والحاجة بل الضرورة ماسة إلى معرفته، وربما كان الاختصار عليه أولى وأنفع من السبي في شرح جميعها لأمر كثير، وأكثر في من النقل لعبارات المؤلف في كتبه التي فيها إيضاح وتبيين يُعين على فهمها، لأنه أحسن ما يشرح كلامه بكلامه، فجاء بحمد الله كتابًا وافيًا بمقصوده، محتويًا على جواهر نفائس علم التوحيد، الذي هو أشرف العلوم على الإطلاق.

وأسأله تعالى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به النفع العميم، إنه جواد كريم رؤوف رحيم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نصل

في بيان توحيد الأنبياء والمرسلين،

ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعتلين

وهذا التوحيد هو التوحيد على الحقيقة، الذي لا يستحق هذا الاسم غيره، وهو التوحيد الوحيد في ذاته وحقيقته، وأدلة وبراهينه، وآثاره الفاضلة، فهو التوحيد الذي بعث الله به رسوله، وأنزل به كتبه، وأقام الأدلة والبراهين على صحته، وتعينه طريقاً للنجاة، وأنه لا خير ولا ضرر ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بيبه، وهو الذي أعد الله لأهله ومن قام به أنواع الكرامات، ولمن لم يقم به أنواع العقوبات، وهو الذي عليه المدار والأساس لجميع الأعمال، فكل عمل غير مبني على التوحيد فهو باطل مضطرب، وكل بناء بني على غيره فهو بناء على شفا جرف هار، وهو التوحيد الذي عليه خيار الخلق، وأكملهم عقولاً وآراء، وأجمعهم للمحاسن، وهم الأنبياء والمرسلون ومن تبعهم.

وتبَّه ورده كل ملحد ومعتل، ممن مرجت أديانهم، وقسدت عقولهم، واكتسبوا شر الأخلاق، وعظمت قلوبهم من معرفته

ومحيطه، وأستهم من ذكره، وجوارحهم من طاعته، ممن خالفوا الأنبياء والمرسلين في توحيدهم وطريقهم في الدليل والمطلوب، فتوحيد الأنبياء والمرسلين مشتمل على الحق والصدق، المزمي للنفوس المطهر للأخلاق، وأدلة كل دليل عقلي صريح، وكل دليل نقلي صحيح. وتوحيد الملاحدة والمعتلين مشتمل على أبطل الباطل، مؤيد بالشبه التي لا تمن ولا تغني من جوع، وهي على جهل أهلها وفساد عقولهم وأفهامهم من أكبر الأدلة، ولهذا قال المصنف:

فاسمع إذا توحيد رسل الله ثم اجعل له داخل قصة الميزان
مع هذه الأنواع وانظر إليها أولى لدى الميزان بالرجحان

وهذا لأن الشيء يعرف بضده، والحق يتضح وبين بمعرفة الباطل، فإنك إذا وزنت بميزان العقل الحقيقي والقطرة الأولى التي لم تغير، والقواطع الدالة على الحقائق، توحيد الأنبياء والمرسلين وتوحيد غيرهم، وجدت بينها من الفروق ما لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل، وكيف يوزن توحيد المعتلين والملحدين، المشتمل على مسبة رب العالمين ووصفه بكل صفة ناقصة، ونفي حقائق أوصافه الكاملة، والافتراء عليه وعلى رسوله وكتبه، وجعل المخلوق الناقص من جميع الوجوه مساوياً للمخلوق الكامل من جميع الوجوه، بتوحيد الأنبياء والمرسلين المشتمل على تعظيم رب العالمين وتقديسه، والثناء عليه بأكمل الثناء، ووصفه بكل صفة كمال، وتزويده عن التمثيل والتشبيه، ومشاركة

أحد من المخلوقات في خصائص صفاته المقدسة. وكيف يوزن توحيد يرتقى بمن قام به إلى أعلى عليين، يتوحيد ينزل بصاحبه إلى أسفل سافلين؟ أم كيف يوزن توحيد يجعل من اتصف به هاديًا مهديًا وظاهرًا مرضيًا، يتوحيد يكسب أهله الضلال والإضلال، وأرذل الخصال، والشقاء الأبدى، والمذاب السرعدي؟

توحيدهم نوعان قولى وفعلى كلا نوعيه ذو برهسان
يعني أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم قسمين:

أحدهما: التوحيد الفعلى، وهو إفراد الله بالمحبة والذل وسائر العبادات والتقربات، ويأتي في آخر هذه الفصول، وهو المعبر عنه بتوحيد العبادة، وتوحيد الألوهية. وسمى توحيدًا فعليًا لأنه يتضمن أفعال القلوب والجوارح، فهو توحيد الله بأفعال العبد، وأن لا يتخذ له شريك ولا ند.

والثاني: التوحيد القولى المشتمل على أقوال القلوب، وهو اعترافها واعتقادها، وعلى أقوال اللسان، والثناء على الله به. وهذا النوع هو توحيد الأسماء والصفات، الذي يدخل فيه توحيد الربوبية، وكل واحد من النوعين له براهين وأدلة عقلية وتقليدية، فبدأ المصنف رحمه الله بالتوحيد القولى فقال:

فالأول القولى ذو نوعين أي خطا في كتاب الله موجودان
إحدهما سلب وذا نوعان أي خطا فيه مذموران

سلب النقص والعيوب جميعها عنه هما نوعان مقبولان
يعني أن التوحيد القولى على نوعين موجودين في كتاب الله، أحدهما سلب، أي نفي للنقص والعيوب عن الله، والثاني إثبات الصفات الكاملة لله، كما سيأتي إن شاء الله. وبدأ بالسلب لأنه وسيلة ومقصود لغيره، فإن المقصود إثبات صفات المدح والحمد، وكل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من النقص فإنه متضمن للمدح والثناء بصد ذلك النقص، من الأوصاف الحميدة والأفعال الرشيدة، وهذا السلب على قسمين، ذكرها المصنف بقوله:

سلب لمحصل ومتحصل هما نوعان معروفان أما الثاني
سلب الشريك مع الظهير مع الشفيع بدون إذن الخالق الديان شفع بدون إذن الخالق الديان
وكذلك سلب الزوج والولد الذي نسبوا إليه عابدين الصليان
وكذلك نفي الكفر أيضًا والولد مي لنا سوى الرحمن ذي القفران
يعني أن ما ينزه الله عنه من النقص، ويسلب عنه من العيوب، نوعان:

سلب لمحصل، وضابطه: نفي ما يناقض ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، كما سيأتي.

وسلب لممتصل، وضابطه: تنزيه رب العالمين أن يشركه أحد من الخلق في خصائصه التي لا تكون لغيره، وذلك كنفي

الشريك لله، فإن الله متفرد بالملك والقدرة والتدبير، فليس له شريك في الملك، وليس له أيضاً ظهير أي عوين يعاونه على خلق شيء من المخلوقات أو تدبيرها، لكنمال قدرته وسعة علمه ونفوذه مشبته، وعجز المخلوقين وعدم حولهم ونوتهم إلا بالله، فالشريك والظهير مشيان عنه مطلقاً، وأما الشفع فإنه ينفي عنه أن يشفع أحد عنده على وجه يكون نقصاً في حق الله، كأن يشفع عنده أحد بغير إذنه، كما يشفع الوزراء عند الملوك والسلاطين. وأما الشفاعة عنده بإذنه فإنها ثابتة، كما أثبتها الله في عدة مواضع من كتابه، وذلك لأنها دالة على كمال رحمته تعالى وعموم إحسانه، فإنها من رحمته بالشافع والمشفوع له، فالشافع ينال بها الأجر والثناء من الله ومن خلقه، والمشفوع له يرحمه الله على يد من أمره بالشفاعة فيه، ومع هذا فلا يأذن لأحد بالشفاعة إلا فيمن ارتضى قوله وعمله، وهو من كان مخلصاً متابعاً للرسول. قال تعالى ناليتا هذه المراتب الثلاثة الملك والشركة فيه والعوين له والشفاعة بغير إذنه عن كل من عبده من دونه من أهل السماء وأهل الأرض: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَتَقَالُ ذُرٌّ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمْ مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَوْكَلَ لَهُ ۝﴾ (سبا/ ٢٢ - ٢٣) فقطع في هذه الآية كل سبب يتوصل به المشركون لدعوة غيره، وأن من كان بهذا الوصف لا ملك له بوجه من الوجوه، ولا شركة في الملك ولا معاونة ومظاهرة فيه، وليس له شفاعة بدون إذن الله، لا يستحق من العبادة منقال ذرة.

وكذلك يسلب وينفي عن الله الزوجة والولد الذي نسب إليه عباد الصلابة، وهم النصارى، حيث قالوا: المسيح ابن الله، وكذلك نسب إليه عباد الأصنام، حيث قالوا: الملائكة بنات الله، فكذب الله كل من أثبت له زوجة أو ولداً فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْلٌ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْؤاً أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص]، وقال تعالى: ﴿مَا أَفْعَدَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ۝﴾ [المؤمنون/ ٤٩٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [الزمر/ ١٨١]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَتَعْذِرُ الرَّحْمَنَ وَلَدًا سُبْحَنَهُ نَعْلَمُ عَذْرَافَهُمْ مَكْرُومٌ ۝ لَا يَسْتَفِيدُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَقْتُلُونَ ۝﴾ [الأنبياء/ ٢٦ - ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَبْنَا لَهُمُ اللَّهَ فَبُذِّمُوا ۝﴾ [التوبة/ ٣٠]، وقال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۝﴾ [المائدة/ ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُم مَبَازِيرَ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَهُمْ وَعَفَا عَنَّا ذُنُوبَهُمْ ۝﴾ [يونس/ ١٠٠ - ١٠١]، إلى غير ذلك من الآيات النافية عن الله أن يتخذ صاحبة أو ولداً، لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد، الغني الذي لا يحتاج إلى أحد من خلقه بوجه من الوجوه، ولأنه المالك لكل شيء، وكل الخلق مملوكون فقراء إليه. فمن كان كذلك فمن أين يتخذ الصاحبة أو الولد، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَتَعْذِرُ الرَّحْمَنَ وَلَدًا ۝ لَعَنَ الَّذِينَ سَبَوْا عَذْرَافَهُمْ إِذَا

تَكَادُ السَّمَوَاتِ يَنْقُطُونَ مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَغَيْرُ الْمُبَالِ هَذَا ۝ أَنْ دَعَا
الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝ إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا ۝ لَقَدْ أَحْضَرْنَاهُمْ وَعَدَّاهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فَرَقًا ۝ (مريم / ٨٨ - ٩٥).

وقول المصنف: «نسبوا إليه عابدوا الصليبان» هذا على لغة من
يلحق الفعل المسند إلى الظاهر علامة التثنية والجمع، وهي لغة
ضعيفة تحمل عليها الضرورة^(١)، واللغة النحوية أن يقرء الفعل
المسند إلى الظاهر، فيقال: «نسب إليه عابدوا الصليبان».

وقوله: «وكذلك نفى الكفر أيضا» أي ينعين أن ينفي عن الله
الكفر، الذي نقاه عن نفسه في قوله: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ» (الإخلاص / ٤)، «هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا» (مريم / ٦٥)، فلا
تجعلوا لله الأنداد، ليس كمثله شيء، فليس أحد من الخلق مكافئاً
له، أي مساوياً له في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال،
لأنه الخالق الكامل من كل وجه، وسواء مخلوق ناقص إن لم
يكمله ربه يكمله اللائق به، فليس أحد له صفات تقارب صفات
الله، أو له أفعال تشبه أفعال الله، بل ليس لأحد من الخلق استقلال
بفعل شيء أصلاً، حتى يعينه الله على أفعاله، ولهذا كانت أفعال

(١) قوله الضرورة قلت: قد وردت في كتاب الله في موضع واحد في
سورة الأنبياء وهي قوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَخْرُجُ الشَّجَرَاتُ الْمَوْتَى﴾
ولم تحمل عليها الضرورة ولكنها لغة ضعيفة كما قال المؤلف.

العباد تابعة لمشيئته، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝﴾
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَحْسِبُونَ ۝﴾.

وكذلك مما ينفي عن الله أن يكون لنا ولي من دونه يحصل لنا
المطالب الدينية والدنيوية، أو يدفع عنا مضار الدين والدنيا، بل
ليس لنا ولي إلا هو، فهو الذي تولى خلقنا وتديرنا وتربيتنا العامة
والخاصة، فالولاية العامة ولاية الخلق والتدبير، الشاملة للبر
والعاجر، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝﴾
[البقرة / ١٠٧]، والولاية الخاصة هي ولايته للذين آمنوا وكانوا يتقون،
يخرجهم بها من ظلمات الجهل والكفر والمعاصي إلى نور العلم
والإيمان والطاعة، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝﴾ [يونس / ٦٢ -
٦٣]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة / ٢٥٧].

وكذلك لا يتخذ أحدًا من خلقه وليًا من الذل، لكمال اقتداره
وعظمته، بل يتخذ منهم أولياء رحمة بهم وإحسانًا منه إليهم،
يحبهم ويحبونه، والحاصل أنه ليس أحد من الخلق مساوياً لرب
العالمين، أو مماثلاً أو عويثاً أو وزيراً بوجه من الوجوه.

والأول التزويج للرحمن عن وصف المبوب وكل ذي نقصان
كالموت والإحياء والتعب الذي ينفي اقتدار الخالق الديان
والنوم والسنة التي هي أصله وعزوب شيء عنه في الأكوان
هذا القسم الأول من قسمي السلب المنفي عن الله، وهو

التزييه لله عن أن يتصف بعيب أو نقص يناقض كمال أوصافه، فهو موصوف بكل صفة كمال منزّه عن ضدّها وعن نقصها، فهو موصوف بكمال القدرة، منزّه عن ما يضادّها من الموت والإعياء والتعب واللقوب، فإنه لو كان موصوفاً بشيء من ذلك لكان ناقص القدرة. قال تعالى: ﴿وَوَكَّلْ عَلَى النَّبِيِّ الَّذِي لَا يُؤْتِي﴾ [الفرقان/ ٥٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسْكِينٌ لَّغُوبٍ﴾ [ف/ ٣٨].

وهو تعالى موصوف بالحياة الكاملة التامة، منزّه عن ما يضادّها من النوم والنعاس الذي هو أصل النوم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي الْقَبُومَ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]. وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام^(١).

وكذلك هو موصوف بالعلم المحيط بكل شيء، يعلم ما في السموات والأرض، ويعلم ما يسر العباد وما يعلنون، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. ومنزّه عن كل ما ينافي ذلك، فلا يحزب أي يغيب عن علمه وبصره وسمعه شيء في السموات والأرض. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران/ ٥]. وقال تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي

(١) رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري.

السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كَيْفٍ مُبِينٍ﴾ [سبا/ ٣].

وكذلك العيب الذي تفنيه حكمه وحسنه وحمد الله ذي الإنسان وكذلك ترك الخلق لعمالاً سدى لا يعيشون إلى معاد ثالثي كلا ولا أمر ولا نهى عليه هم من إله قادر ديان

أي وكذلك بمنزّه الله عن العيب في الخلق والأمر، وأنه خلق شيئاً عيباً وباطلاً أو شرع شيئاً عيباً، لأنه حكيم حميد، فمن تمام حكمته وحسنه إتيان المخلوقات وإحكامها وإحسان المأسرات على أكمل وجه وأتمه، وهذا أمر مشهود في الخلق والأمر، فخير حكمته الألياب، ويستدل بما يان من الحكمة فيها على ما خفي على العباد، ومن تمام الحكمة أنه لم يخلق الخلق سدى لا يأمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون على تلك الأوامر والنواهي بالبعث بعد الموت، فالحكمة والحمد دالان على أنه خلق المكلفين لينفذ فيهم أحكامه الشرعية، ثم بعد ذلك يبعثهم بعد موتهم إلى دار تجري فيهم أحكام الجزاء والثواب والعقاب، قال تعالى: ﴿أَلَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ قَتَمَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ [المؤمنون/ ١١٥ - ١١٦]، أي عن هذا الظن والحسان، لأنه لا يليق بجلاله. وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَرْكَ سُدًى﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَقَدْ بَيْنَ مَبْنَى بَيْنَ قَدْ كَانَ عَقْلًا فَلَقَى سُدًى [القيامة/ ٣٦ - ٣٨]. فالذي نقله في هذه الأطوار لا يليق به أن يتركه

مهيلاً صدى، لا يامر ولا ينهى، ولا يثب ولا يهبط، قال تعالى ﴿إِنَّ أَلَدَىٰ حَرْصٍ عَلَيْكَ لِقَوْمٍ لَّهُمْ مَدْرَءٌ مُّعَذِّبٌ لَّهُمْ﴾ [سجدة: ١٥]

وكذلك ظلم عباده وهو العتيق معالاه والظلم للإنسان

أي وكذلك يتره الله تعالى عن الظلم للعباده بأن يزيد في سيئاتهم أو ينقص من حسناتهم، أو يعاقبهم على ما لم يفعلوه، فإن الظلم لا يعمده إلا من هو محتاج إليه، أو من هو موصوف بالجور، وأما الله تعالى، الذي عن خلقه من جميع الوجوه، العادل الحميد، فعنه وظلم عباده، قال تعالى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سجدة: ١٦]، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْلِبُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ١٠ أَمْثَلًا ٢٠ وَتَكُ شَرًّا يُضَاعِفْهَا ١٠ أَمْثَلًا ٢٠﴾ [سجدة: ١٦-٢٠]، وقد عصى على عباده به محمد ﷺ، أي عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، رواه مسلم من حديث أبي ذر

وكذلك خلقه تعالى وهو عديم سلام الغيوب نظاهر البطلان

وكذلك السيان جل إلهنا لا يعثر به نطق من لسان

وكذلك حاجته إلى طعم ورزق وهو وراق بلا حبان

أي وكذلك يتره الله تعالى عن العجلة والسيان، لأنه عالم لعباده وشهادته، وعنده محيط، لا يعرض له ما يعرض لغيره، من حدود المعنويات أو سياها، أو دهورها، كما قال تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُ بِشَيْءٍ مِّنْ شَيْءٍ﴾ [سجدة: ١٧]

[سجدة: ١٧]، وكذلك يتره تعالى عن احتجاده إلى الطعام والرزق،

لأنه تعالى هو الرزق لجميع خلقه، لعبي عباده، وكثيرهم فقراء إليه.

محتجور إليه قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِعِبَادِي ۚ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّنْ شَيْءٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُبْعَثُوا ۚ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]، وقال

تعالى ﴿رَغُوبًا لَهُمْ وَلَا يَلْجَأُونَ إِلَىٰ يَدَيْهِ ۚ﴾ [الذاريات: ٥٨]

هذا وثاني نوعي السلب الذي هو أول الأنواع في المبران

سربه أوصاف الكمال له عن التثنية والتثنية والتكرار

لأنه وصفه بصفات إن المشبه عابد الأوثان

كلا ولا تغلبه من أوصافه إن المعطر عابد البهتان

من مثل الله العظيم بخلقته فهو الشيب لشرك نصراني

أو عطل الرحمن من أوصافه فهو الكفور ولبس ذا إيمان

هذا النوع الثاني من نوعي السلب الذي يده الله عنه الذي هو

أول النوعين الثبوتي والسلب، «في الحيزان» أي في هذه القصيدة

وتتبع النوع الأول من قسمي سلب، وهو سلب جليل ومختص.

المختص لتزييه عن النقائص والعيوب، وعن مشاركة أحد من

الخلق له في صفاته الخاصة به، وعن ما ينقص كماله. وهذا

النوع يرجع إلى حفظ كماله، وسعوت جلاله، عن تشبيهها بصفات

الخلق، فلا يقال علم الله أو قدرته كعلم الخلق أو قدرهم، ولا

رحمته كرحمة خلقه، وبحو ذلك، فإن هذا كله تشبيه لله بالخلق

ومن كان بهذه الحال فإنه يمثل بعكزه شيئاً ووثناً يعبد، كما فعل النصارى بالمسيح ابن مريم، جعلوه إلههم ومعبودهم، فالتشبه تسبب ومشبه للنصراني، ورب العالمين فوق ما يظنون، وأعلى مما يتوهمون، فإنه كما أن ذاته لا تشبهها ذوات المخلوقين، فصاعته لا تشبهها صفاتهم

وعن تعطيل صفاته وعبها، كما فعلته الجهمية المعطلة ومن تبعهم من المتكلمين، فإن ذلك رد لنصوص الكتاب والسنة، الدالة على اتصافه بصفات الكمال، فيثبته المعطل أن ظاهر النصوص يدل على التشبه، فيثبته بوجهه الفاسد، ويصير فيه متعبداً لعدم المحض، لأنه لا يعقل ذات ليس بها صفة ولا نعت، ولا يُعقل من قوَى الجهمية ومن تبعهم: «إن الله ليس بداحل العالم ولا خارج» إلا لعدم المحض والنفي الصرف، فإنه كمر بآيات الله، وتكذيب للرسل، ورد لما جاءوا به. ولهذا قال المصنف: «فهو الكفور وليس ذا إيمان». ولكن سيأتي إن شاء الله في كلام المصنف حكم الجهمية وغيرهم من المعطلة، والتمييز بين من يكفر منهم ومن يُعذر بتأويله.

وبالجملة فالناس في هذا المقام ثلاثة أقسام: مؤمن موحد، ومشتبه، ومعطل.

فالمؤمن الموحد يصف الله بـ وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، من صفات الكمال، على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته، من غير تمثيل ولا تشبيه، ومن غير تحريف ولا تعطيل لشيء من

أوصاف الله

والمشبه هو الذي يشبه صفات الخالق بصفات المخلوقين، أو يتعرض لمعرفة كنهها وحقيقتها التي لا يعلمها غير الله والمعطل هو من نفى شيئاً من صفات الله

وكل من المشبه والمعطل قد حُرِّم الوصول إلى معرفة ربه على وجهه، وابتلي بالتكلف والتحريف لنصوص الوحي، وكما أنه مناقض للوحي فهو مناقض لما دلت عليه المطر التي لم تميز، والعقول المستقيمة، فلا معقول لديهم ولا منقول.

وعدى الله أهل السنة والجماعة لاتباع الحق المنقول عن الله وعن رسوله، والمعقول لذوي الأبواب، وذلك يظهر بتدبر ما عليه هذه الطوائف من المسائل والدلائل وتحقيقاتها، وسأله الهداية لأقوم الطرق وهداها

فصل

في النوع الثاني من النوع الأول وهو الثبوت

وهذا أشرف التقسيم وأجلها، وهو المقصود لذاته، ومجمله ما ذكره المصنف في هذا البيت حيث قال

هذا ومن توحيدهم إثبات أو صاف الكمال لربنا الرحمن أي من توحيد الأنبياء والمرسلين وأتباعهم إثبات كل صفة للرحمن وردت في الكتب الإلهية والنصوص النبوية، ثم شرع

يفصل شيئاً منها، فقال

كعلوه سبحانه فوق السموات العلى بل فوق كل مكان
هو العلى بذاته سبحانه إذ يستحيل خلافه، بيان
وهو الذي حقا على العرش استوى قد قام بالتدبير للأكوان
أما علو البارئ تعالى فوق جميع المخلوقات، ومبنيته لها،
فقد دلّ عليها مع النصوص الكثيرة العقل الصريح، فإنه على بذاته
فوق جميع مخلوقاته، ويستحيل أن لا يكون علواً، فإنه يستحيل
ويستع أن يكون هو نفس المخلوقات، ويمتنع أيضاً أن يكون حالاً
فيها، فتعين أن يكون فوقها مبدئاً لها.

وأما استواءه على العرش العظيم فيستفاد من النقل صريحاً،
قال تعالى ﴿ رَحِمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [آية ٢٠] ومن كلامه
مالك رحمه الله عن كيفية الاستواء، فقال: «الاستواء معلوم،
والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه (أي عن الكيفية)
بدعة». فكما أنه ثبت لله صفاته على الوجه اللائق بجلاله وعظمته،
فالاستواء من جملة أوصافه القمينة، فاستوى على العرش، واحتوى
على جميع الملئكة، يدير الأمر في أقطار العالم العلوي والسفلي،
فلا يتحرك متحرك إلا بإذنه، ولا يحد شيء لا يثبت قال
تعالى: ﴿ تَرْمِثُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [آية ٢٠] وقال ﴿ تَرْمِثُ اسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ يَدِيرُ الْأَمْرَ ﴾ [يونس / ٢٠].

حي مريد قادر متكلم ذو رحمة وإرادة وحسان

أي هو تعالى حي حياة كاملة جامعة لجميع صفات الذات، لا
تأخذه سنة ولا نوم، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ لَا يَكُونُ لَكَ
[الفرقان / ٥٨].

وهو المريد القادر أي كامل الإرادة والقدرة، وجميع سببه
لأن جميع الأفعال المتعلقة بذاته: كالاستواء والبر والرحمة
سبباً وبمحيط بهم القبة وهو ذلك، والمستعلقة بحقه كالأحياء
والأموات، الحى، وجميع أنواع التدبير، وجميع الأقوال تصدر عن
القدرة والإرادة، فما وجد علم أن الله أراد، وخلقه، وما لم يوجد
علم أن الله لم يرد، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وبذلك
ي. كامل القدرة والإرادة، وبذلك علمه ما في الكون من حجب وقوة لا
مستفادة وثابعة لحول الله وقوته.

متكلم أي لم يزل ولا يزال موصوفاً بالكلام، فيكلم بما أراد،
كيف أراد، وحيث أراد.

ذو رحمة وحنان أي قد اتصف بالرحمة، وعم خلقه بالنعيم
والإحسان، والبر والحنان، والبطء والامتنان

هو أول ما أفر هو ظاهر	هو باطن هي أربع سور
ما قبله شيء كذا ما بعده	شيء تعالى الله ذو السلطان
ما فوقه شيء كذا ما دونه	شيء وذ تفسير ذي البرهان
لناظر إلى تفسيره بتدبير	وبصر وتعقل لمعاني

وانظر إلى ما فيه من أنواع معارف لخالقنا العظيم الشان
قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ﴾ [الحديد/ ٢٦]. وقال النبي ﷺ في الحديث الثابت عنه:
«أنت الأول فليس قبلك شيء»، وأنت الآخر فليس بعدك شيء،
وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»
بحديث^(١)

ولهذا عسر المصنف هذه الأسماء الأربعة المباركة بما فسرهما
به النبي ﷺ وقال: «هذا تفسير ذي البرهان» أي تفسير الرسول
الذي كلامه أعلى مراتب أسرار والإيضاح بعد كلام الله تعالى، فبه
مستل على إثبات معانيها ومعانيها وبيانها وبيانها وحسن
المصنف على تدبر هذه الأسماء لأربعة وعقل معانيها، وأنها
مشملة على أمور عظيمة من أنواع معرفة الله تعالى، التي بها تحيا
القلوب وتسير الأفئدة، فليست كلام المصنف في «سفر لاهوتيين»^(٢)
على هذه الأسماء الأربعة فإن فيه الشفاء والكفاية.

قل رحمه الله على كلام شيخ الإسلام الأنصاري في قوله
الثابت الرجوع إلى فضل الله، وعظيمة سببه الأسباب والوسائل،
بفضل الله ورحمته وجدت منه الأعمال والأقوال الشريفة والمقامات
العنية، وبفضله ورحمته وصدا إلى رضا ورحمته وقربه وكرامته

(١) روله مسلم من أبي هريرة

(٢) ص ٤٢ شرح ابن القيم

ومولاته، وكان سبحانه هو الأول في ذلك كله، كما أنه الأول في
كل شيء، وكان هو الآخر في ذلك كما هو الآخر في كل شيء،
فمن عبده باسمه الأول والآخر حصلت له حقيقة هذا الفقر، فإن
انضاف إلى ذلك عبوديته باسمه الظاهر والباطن فهذا هو العارف
الجامع لمتفرقات التوحيد ظاهراً وباطناً، فعبوديته باسمه الأول
تقتضي التجرد من مطلعة الأسباب والوقوف والاتفات إليها،
وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ
بالإحسان من غير وسيلة من العبد، إذ لا وسيلة له في العدم قبل
وجوده، وأي وسيلة كانت هناك؟ وبما هو عدم محقق، وقد أتى
عنه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، فمعه سبحانه الإعداد،
ومنه الإمداد، وفضله سبب على الوسائل، والوسائل من مجرد
فضله وجوده، لم تكن بوسائل أخرى، فمن نزل اسمه «الأول»
على هذا المعنى أوجب له فقراً خاصاً وعبودية خاصة، وعبوديته
باسمه «الآخر» تقتضي أيضاً عدم ركونه وثوقه بالأسباب والوقوف
معه، فإنها تعدل لا محالة، وتقتضي بالآخرية، ويبقى الدائم
الباقي بعدها، فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقصي، والتعلق بالآخر
سبحانه تعلق بالحى الذي لا يموت ولا يزول، فالتعلق به حقيق
أن لا يزول ولا ينقطع، بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يتنى به،
كما نظر العارف إليه يسبق الأولية، حيث كان قبل الأسباب كلها،
فكذلك يقره إليه يتقاء، بالآخرية، حيث يبقى بعد الأسباب كلها،
فكان الله ولم يكن شيء غيره، وكل شيء هالك إلا وجهه.

فتأمل عبودية هذين الاسمين وما يوجبانه من صحة الاضطراب إلى الله وحده ودوام لعقر إليه، دون كل شيء سواه، وأن الأمر ابتداء منه إليه يرجع، فهو المبتدئ والمفضل، حيث لا سبب ولا مسببة، وإليه تنتهي الأسباب والوسائل، فهو أول كل شيء وآخره وكما أنه رب كل شيء ومفعله ومخالقه ويدرئه، فهو إلهه وغيبته التي لا صلاح له ولا فلاح ولا كمال إلا بأن يكون وحده عده ونهايته ومقصوده، فهو الأول الذي ابتدأت منه المخلوقات، والآخر الذي انتهت إليه عبودياتها وإراداتها ومحتتها، فليس وراء الله شيء يُقصد ويُعبد ويتناه، كما أنه ليس قبله شيء يخلق ويُبرئ، فكما كان واحداً في إيجادك فاجعله واحداً في تألهك إليه تصح عبوديتك، كما ابتدأ وجودك بحضرة منه فاجعه به في حرك وإزدك وتألهك إليه لتصح عبوديته باسمه الأول والآخر، وأكثر الخلق تعبدوا له باسمه الأول، وإنما الشأن في التعبد له باسمه الآخر فهذه عبودية الرسل وأتباعهم، فهو رب العالمين وإله المرسلين سبحانه وبحمده.

وأما عبوديته باسمه الظاهر فكما نرى النبي ﷺ يقول: «وأنت الظاهر وليس فوقك شيء»، وأنت الباطن ليس دونك شيء» وهذا تحقيق بعد علوه بسطق على كل شيء بدانه، وأنه سس فوقه شيء التفة، وأنه قاهر فوق عباده، ينير الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه، إليه يصعد الكلم الطيب ويعمل الصالح يرفعه، صدر غشه أمما بغصده، ورب يعده، وإلهنا سوخه به.

مخلاف من لا يدري أين وجهه، فإنه ضائع مشتت القلب، ليس لقلبه جهة يتوجه نحوها، ولا معبود يتوجه إليه قَصْدُهُ. وصاحب هذه الحال إذا سلك وتسلط قلبه إليها يمكن إليه ويتوجه إليه، وقد اعتقد أنه ليس فوق العرش إلا العدم، وأنه ليس فوق العالم إله يعبد ويصلى له ويسجد، وأنه ليس على العرش من يصعد إليه الكلم الطيب ولا يرفع إليه العمل الصالح، جل قلبه في الوجود جميعه، عرق في الاتحاد والاند، وتعلق قلبه بالوجود المطلق الساري في المعينات، فاتحد به إلهه من دون إله الحق، وظن أنه قد وصل إلى عين حقيقة، وألف بالله وتعبد لمحبوب حقه، وبخيل محته بفكره، ويحده بها من دور الله سبحانه، وأنه لم يزل وراء ذلك كله ﴿إِنْ رِئَاكَ اللَّهُ لَيَكُنْ لَكَ لَسُوبٌ وَأَلُوسٌ فِي سَعَةِ يُبْرُكُ شَوْى عَنِ تَعَرُّشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنْ شَيْخٍ لَا مِنْ بَعْدِ دِيهِ دِيحَكُهُ تَدْرُكُهُمْ فَاتَّبَعُوا أَهْلًا تَدْكُرُونَ رَبِّهِمْ مَرْجِعُكُمْ حَيْثُ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُمْ سَدُّوا حَقَّقُوا ثُمَّ يُعِيدُوا بَحْرَى الْيَمِينِ - مَسَا وَجْهَهُمْ لِيُصِيبَهُمْ الْفَتْحُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرِبٌ مِنْ جَمِيمٍ وَعَدْنَا أَلْبَانًا كَأَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ (البقرة ١٤)

وقد ﴿لَهُ لَدَى حَقِّكَ مَسُوبٌ وَأَلُوسٌ وَمَا شَهِدَ فِي سَعَةِ تُبْرُكُ شَوْى عَنِ تَعَرُّشِ مَلَكُمُ مِنْ دُونِهِ مِنْ رَبِّهِ وَلَا شَيْخٌ فَلَا تَدْكُرُونَ - مُدْرِكُ الْأَمْرِ مِنْ أَسْمَاءٍ وَمَا لَأَلُوسٌ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ مِائَةِ أَلْفٍ عَشْرٍ﴾ (البقرة ١٤)

١٩. فقد تعرف سبحانه إلى عباده بكلامه معرفة لا يجدها إلا من أكره سبحانه، وإن زعم أنه مقرب به

والمقصود أن التعبد باسمه الظاهر يجمع القلب على المعبود،
ويجعل له ما يقصده، وصمته بضمه ابه في حوائجه، وملجأ
يلجأ إليه. فإذا استقر ذلك في قلبه، وعرف ربه باسمه الظاهر،
استقامت له عبوديته، وصار له معقل وموئل يلجأ إليه، ويهرب
إليه، ويقر كل وقت إليه.

وأما تعبد باسمه «الباطن» فأمر يضيق نطاق التعبير عن
حقيقته، ويكفل السان عن وصفه، ثم تصظم الإشارة إليه، وتنفو
العبارة عنه، فإنه يستلزم معرفة هريئة من شوائب التعطيل، محلصة
من فوثر الشيء، منزعة عن وجس الحلول والاتحاد، وعياده
مؤدية للمعنى كاشمة عنه، وذوقاً صحيحاً سليماً من أذواق أهل
الانحراف، فمن رزق هذا فهم معنى اسمه «الباطن»، وصح له
التعبد به. وسبحان الله كم زلت في هذا المقام أقدام، وضلت فيه
أهنام، وتكلم فيه الزيدى بلسان الصديق، واشته فيه إخوان
النصارى بالحنفاء المخلصين، لتبوء الأنعام عنه، وعزة تحملن
اسحق من الباطل فيه، والتباس ما في اللحن بما في الخارج، إلا
عنى من رزقه الله بصيرة في الحق، ووراً يعيز به بين الهدى
والضلال، وفرقاً يفرق به بين الحق والباطل، وورق مع ذلك
اطلاعاً على أسباب الخطأ وتفرق الطرق ومثار العلط، وكان له
بصرة في الحق والباطل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو
الفضل العظيم

وباب هذه المعرفة والتعبد هو معرفة إحاطة الرب سبحانه

بالعالم وعظمته، وأن العوانم كلها في قبضته، وأن السموات
لحم والأرضين السبع في يده كحردة في يد العبد، قال تعالى:
﴿وَمَا يَدْرِي أَفَرَأَيْتُمْ لِيَّ الْوَسْطَىٰ﴾ [البروج/ ٢٠]

ولهذا يقر سبحانه بين هذين الاسمين الدالين على هذين
المعنيين اسم المعبود، الدال على أنه الظاهر وأنه لا شيء فوقه،
واسم لعظمة الدال على الإحاطة وأنه لا شيء دونه، كما قال
نوح عليه السلام ﴿وَهُوَ أَمَرُ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة/ ٢٥٥] وقال ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ
الْغُيُوبِ﴾ [١٤٠] و﴿وَلَهُ أَشْرَفُ مَقَرٍّ﴾ [البقرة/ ١١٥]. وهو قيارك وتعالى كما
أنه العالي على خلقه بذاته وليس فوقه شيء، فهو الباطن بذاته
ليس دونه شيء، بل ظهر على كل شيء فكان فوقه، وبطن فكان
أقرب إلى كل شيء من نفسه، وهو محيط به حيث لا يحيط
بشيء بنفسه، وكل شيء في قبضته، وليس شيء في صفه،
هذا قرب الإحاطة العامة

وأما القرب المذكور في القرآن والسنة فقرب خاص بين
عبيده وصدقائه ودعائه، وهو من ثمرة التعبد باسمه الباطن قال
تعالى ﴿وَأَيُّكُمْ كَلَّمَ عِبَادِي عَنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِئِ
وَعَنِّي﴾ [البقرة/ ١٨٦] هذا قرب من دعائه، وقرب ﴿يَذَرُكُمْ لِيَلْبِغُوا
فَرِيضَتِي مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الاعراف/ ٥١] ذكر المحر وهو قرب
عز مع لرحمة وهي مؤنة، يبدأن بقربه تعالى من المحسنين،

فكأنه قال: إن الله برحمته قريب من المحتسين. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» وأقرب ما يكون للرب من عبده في جوف الليل^(١). فهذا قرب خاص، غير قرب الإحاطة وقرب البطون.

وفي الصحيح من حديث أبي موسى أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سمر، فارتفعت أصواتهم بالتكبير، فقال: «أيها الناس أوتقوا على أنفسكم. فإنكم لا تدعون أصم ولا غنم، إن الذي تدعونه سمع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»^(٢). فهذا قربه من داعيه وذاكره، يعني فأني حاجة بكم إلى رفع الأصوات، وهو لقربه يسمعه وإن خففت، كما يسمعه إذا رمت، فإنه سمع قريب. وهذا القرب هو من لوازم المحبة، فكما كان الحب أعظم كان القرب أكثر.

وقد تستولي محبة المحبوب على قلب محبه بحيث يقف بها عن غيرها، ويعلم محبوبه على قلبه حتى كأنه يراه ويشاهده، وإن لم يكن عنده معرفة صحيحة بأشياء وما يجب له وما يستحيل عليه، وإلا طرق باب الحلول إن لم يدعه، وسببه ضعف تمييزه، ونوع سلطان المحبة، واستيلاء المحبوب على قلبه بحيث يغيب عن ملاحظة ما سواه. وفي مثل هذه الحال يقول: سحاني، أو ما في العجبة إلا الله، ونحو هذا من الشطحيات التي نهايتها أن يعرف له

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه.

ويعدوه، لسكره وعدم تمييزه في تلك الحال.

فالتعمد بهذا الاسم هو التعمد بخاص المحبة وصفو الوداد، وأن يكون الإله أقرب إليه من كل شيء، وأقرب إليه من نفسه، مع كونه ظهراً ليس فوقه شيء، ومن كثرت ذهنه وغنظ طبعه عن فهم هذا المعنى فليضرب عنه صمخاً إلى ما هو أولى به، فقد قيل:

إذا لم تستطع شياً فدهه وجاوزه إلى ما تستطيع

فمن لم يكن له فوق من قرب المحبة، ومعرفة بقرب المحبوب من محبه غاية اقرب وإن كان بينهما عدية المسافة، ولا سيما إذا كانت المحبة من لطرفين، وهي محبه ربه من العمل والشرائط والأعراض القاذحة فيها، فإن المحب كثيراً ما يسوي محبوبه على قلبه وذكره، ويقتنى عن غيره، ويرق قلبه، وتتجرد نفسه، فيشاهد محبوبه كالحاضر معه القريب إليه، ويبتعد عن البعد ما سهل. وفي هذه الحال يكون في قلبه وجوده العيني، وهي لسانه وجوده اللغوي، فيستولي هذا الشهود عليه ويعيب به، فيظن أن في عينه وجوده الخارجي، لغلبة حكم القلب والروح، كما قيل:

خيالك في عيني وذكرك في نفسي وشواك في قلبي فأين تغيب

هذا ويكون ذلك المحبوب بينه وبين عدوه وما بينهما من البعد، وإن قربت الأبدان وتلاصقت الديار، والمقصود أن المثال العلمي غير الحقيقة الخارجية، وإن كان مطابقاً لها، لكن المثال العلمي محبه القلب، والحقيقة الخارجية محلها لخارج.

فمعرفة هذه الأسماء الأربعة - وهي الأول والآخر والظاهر والباطن - هي أركان العلم والمعرفة، فحقيق يا عبد أن ينتفع في معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه وفهمه. واعلم أن لك أنت أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، بل كل شيء فله أول وآخر وظاهر وباطن، حتى الحشرة واللحظة والعصر، وأدى من ذلك وأكثر، فأولية الله عز وجل سابقة على أوليه كل ما سواه، وآخرته ثابتة بعد آخرته كل ما سواه، فأوليته سابقة لكل شيء، وآخرته بقدره بعد كل شيء، وظاهريته سبحانه فوقه وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وطلوه سبحانه إحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون.

بعد هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهي إحاطة زمانية ومكانية، فإحاطة أوليته وآخرته بالقبل والبعء، فكل سابق انتهى إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخرته، فإحاطة أوليه بآخره بالأوائل والآخر، وإحاطة ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فكل من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قده، وما من آخر إلا والله بعده. فالأول قده، والآخر دونه، وبقائه، والظاهر علوه وعظمته، والباطن قربه ودونه، فسبق كل شيء بأوليته، وبقي بعد كل آخر شيء بآخرته، وحلا على كل شيء بظهوره، ودن من كل شيء بطلوه، فلا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضاء، ولا يحجب عنه خدر باطناء، بل الياض له ظاهر،

والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية.

فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد، فهو الأول في آخرته، والآخر في أوليته، والظاهر في نظريته، والباطن في ظهوره، لم يزل أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

هذا آخر كلام المصنف رحمه الله، وهو في غاية النعاسة في هذا الموضع، وكرر لعبارة التنوع لأجل أن يفهم للمعنى بهذا صحيحًا تمامًا، لأن هذا الموضع من أهم المواضع وأعظمها حاجة

وهو العلمي فكل أنواع العلم - أو قسامة له بلا تكرار - يعني أن الله تعالى هو العلي، الذي له جميع أنواع الصور ثالثة شرعًا وعقلًا، بلا إنكار ولا تعطيل لشيء منها، فله علو الذات لأنه فوق المحلوقات، فوق العرش العظيم، قد بين العلم العلوي والسفلي، وله عرو القدر، وهو علو صفاته وعظمته، بحيث كانت صفاته عالية عظيمة، لا يماثلها ولا يقربها صفه شيء من المخلوقات، بل لا يقدر الحق كنهم أن يحيطوا علمًا ببعض صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا تُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلاَّ بَمَا ارَادَ﴾. وله علو الفهر، فعلا على جميع المخلوقات وفهرها، فكلها تحت قصته، ومواضع بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يسكن ساكن، لا يوده، ولو أحصوا على بحد فعل أو حركة - يوده - لم يقدروا على ذلك، وذلك لكمال اقتداره وعظمته، وشدة اقتدار المخلوقات إليه من كل وجه

وصفه جلال وكمال، وكذلك هو الجميل بالذات والأوصاف والأفعال والأسماء فإن ذاته تعالى لها من الجلال ما لا يمكن محذوقاً أن يعبر عن معنى جماله، حتى أن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم الذي لا يوصف، والذات التي لا يفارق قدرها، والأفراح والسرور، إذا رأوا ربهم وتمتعوا بجماله لسوا ما هم فيه من النعيم، وثلاثي ما هم فيه من الأفراح، وودوا أن لا يتدوم بهم هذه الحال، واكسوا من جماله جمالاً إلى جمالهم، وكانت قلوبهم دائماً في شوق وبروع إلى رؤية ربهم، حتى أنهم يفرحون بيوم المريد فرحاً تكاد تعبر له القلوب.

وكذلك هو الجميل في أسمائه، لأن أسمائه كلها حسنى، بل هي أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ الْكِتَابَ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال ﴿خَلْقَ تَكَرَّرَ لَهُ سَبِيحٌ﴾ [مریم: ٢٦٥] ولهذا لا يسمى باسم محتمل لمدح وعبره، بل لا يسمى إلا بالأسماء الدالة على غاية المدح والحمد.

وكذلك هو الجميل في أوصافه، فإن أوصافه كلها أوصاف كماله، وسورت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات وأعمها وأكثرها تعلّقاً، خصوصاً أوصاف الرحمة والبر والإحسان والجلل والكرام، وكذلك أفعاله تعالى كلها جميلة، فيها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها ويشكر ويثنى عليه بها، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقتها الحكمة والحمد، فليس في أفعاله عيب ولا سفه ولا ظلم، بل كلها هنى ورحمة وهذا

ورشد ﴿فَإِنْ رَفَعْتَ يَدَكَ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [هود: ٥٦] ﴿وَمَنْ حَتَفَ سَمَاءَ الْأَرْضِ وَمِثْلَهَا نَزَلْنَا ذَلِكَ مِنْ أَلْفِ كُفْرٍ﴾ [س: ٢٧]

ثم استدلل المصنف رحمه الله بدليل عقلي على جمال لباري، فقال: كيف لا، أي كيف لا يكون جميلاً والحال أن جمال جميع الأكرام من بعض ثمرات جميل، وبها تدرك أعظم لحسنه أحق وأجلز منها بالجمال، فكل جمال في الدنيا والآخرة باطني وخبري، مما سهر له عبوده، وبحر الأقدار، خصوصاً ما يعطى أهل الجنة من الجمال، لهم ولنسائهم اللاتي هو ندا كف واحدة منهن إلى الدنيا لطمس بوره نور الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم، أليس الذي كساهم ذلك الجمال ومنى عليهم بذلك الكمال أحق منهم به؟

هذا دليل عقلي واضح مستند بالمقدمات على هذه المسألة لعنه الله من يدعى ﴿وَيَبْتَغِي لَكُمْ لَعْنًا﴾ [سج: ٦٠] أي كل ما وجد في المعلومات من كمال لا يستلزم نقصاً فإن معطيه أحق به من المُنطوق، بما لا نية له بينه وبينهم إلا كفة دواتهم إلى ذاته، وصفاتهم إلى صفاته، فالذي أعطاهم السمع والبصر والعلم والقدرة والجمال والكمال أحق منهم بذلك، وكيف يعبر أحد عن جماله وقد قال أعلم الخلق به: ﴿لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ﴾^(١). وقال: أحبابه النور، ولو كشفه لأحرقت

(١) رواه مسلم عن عائشة

مباحث وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه^(١).

ولهذا قال المؤلف لا شيء منه دونه وصفته سبحانه أي سره ومقدسه، عن ذلك ذي بهاء أي كذب سمعته الذين لم يمدروا الله حق قدره، لا عظموه حتى عظمه، حتى عظموا أوصافه التي نطق بها الكتب، وصرحت بها الرسل، وحسبهم خواراً ومفتاً أن حرموا من الوصول إلى معرفته والابتهاج بسبحته

وجتمع المؤلف بين الجليل والجميل، لأن تمام التبعيد لله هو التبعيد له بهتدين الاممين الكريمين، فالتبعيد بالجليل يقتضي تعظيمه، وحرره وهيئته وجلاله، والتبعيد باسمه الجميل يقتضي محبته والتأله له، وأن يذل له خالص المحبة وصفو الوداد، بحيث تسبح القلوب في رياض معرفته وميادين جماله، وتبتهج بما يحسن لها من آثار جماله وكماله، فإن الله هو الجلال والإكرام

وهو المجيد صفاته أوصاف تعظيم فقلن الوصف أعظم شأن يعني أن معنى اسمه «المجيد» أنه عظيم الصفات واسمها، فكل وصف من أوصافه شأنه عظيم، فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم التي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه

قال المصنف في «بدائع العوائد»^(٢): فإن المجيد من الصف

صفات متعددة من صفات الكمال، ونعظه يدين على هداية فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة، فمته: استمجد المرح وأعززه، وأمجد الناقة عفا، ومنه رب العرش المجيد، صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه. وتأمل كيف جاء هذا الاسم مفعلاً بضم الصاد من الله على رسوله، كما علمناه بفتح (يعني قوله: «اللهم صل على محمد وبارك على محمد، إنك حميد مجيد»^(٣)) لأنه في مقام طلب المريد، والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه، كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، ولا يحسن: إنك أنت السميع البصير، فهو رجع إلى التوسل إليه بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه ومنه الحديث الذي في المسند، يرمي: «الظواهر الحلال والإكرام». ومنه: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المال بديع السموات والأرض، يادا الحلال والإكرام»^(٤) فهذا سؤال له، وتوسل إليه بحمده، وأنه لا إله إلا هو الممان، فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة، وأعظمه موقعاً عند المسئول، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد أشرفها إليه إشارة، وقد فتح لمن بصره الله. انتهى كلامه

(١) نقل عليه من حديث كعب بن حجرة وأبي حميد السعدي.

(٢) عن أنس

(٣) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس. وهو حديث صحيح

صحيح

(١) رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري

(٢) ج ١ ص ١٦٠ نشر دار الكتب

وهو السميع يرى ويسمع كل ما
ولكل صوت منه سمع حاضر
والسمع منه واسع الأصوات لا
وهو البصير يرى دبيب النملة الس
ويرى مجاري القوت في أعضائها
ويرى خيانات العيون بلحظها
ويرى الكون من سر ومن إعلان
فالسر والإعلان متوازن
يخفى عليه بعينها والذان
سوداء تحت الصخر والصوان
ويرى نياط عروقها بعيان
ويرى كذلك قلب الأجهان

هذه الآيات في شرح هذين الاسمين الكريمين السميع
البصير، وكثيرا ما يعرف الله بهما، كمثل قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا
بَصِيرًا﴾ (الباء ٢٤) فكل من السمع والبصر محيط بجميع
مختلفاته الظاهرة والباطنة، فالسميع هو الذي إحاط سمعه بجميع
المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات
يسمعه سرها وعلايتها، حتى كأنها لديه صوت واحد، لا تختلط
عنه الأصوات، ولا تعطف اللغات، والقريب منها وسعد والب
والعالية كتب عنه سواء. قال تعالى ﴿سَوْتَهُ بِسْمِكُمْ مَنْ أَمَرَ الْفُؤُ
رَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَرْجِعٌ بِأَلْسِنَةٍ أَرْبَعٍ ۚ﴾ (سورة
وقال تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجْعَلُ فِي رُجُوعِهَا وَرَحْمَتِكَ يَا أَلَّهُ الْوَاقِعُ
بَسْمِعَ عَاوِزِكَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المائدة ١٠) قالت عائشة رضي
الله عنها: تبارك الذي رسع سمعه الأصوات، لقد جاءت لمجادة
تشتكي إلى رسول الله ﷺ وأنا في جانب الحجر، وأنه لحقني
علي بعض كلامها، فأمر الله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجْعَلُ فِي رُجُوعِهَا﴾

آية

ومشغته تعالى ثوعان، أحدهما سمعه لجميع الأصوات الظاهرة
والخفية، وإحاطته بها إحاطة تامة. والثاني: سَمِعُ الإجابة منه
للسائلين والعابدين والعتصرعين، فيجيبهم وينيبهم، وعنه قول
العبد في صلاته: سمع الله لمن حمده، أي استجاب الله لعن
حمده وأثر عبده وعنده، ومنه قول إبراهيم عليه السلام ﴿أَلْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي هُوَ عَلَى الْكَوْبِ أَسْمَعُ وَرُحْمَىٰ ذِي الرَّفِ لَسْمِعُ اللَّهُ﴾
[إبراهيم/ ٢٩]

ثم قال المصنف: وهو البصير أي الذي أحاط بصره بجميع
للمنصريات في أقطار الأرض والسموات، حتى أخفى ما يكون
منها، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة
الظلماء، ويرى جميع أعضائها الظاهرة والباطنة، حتى أنه يرى
سريان القوت في أعضائها الصغير جد، ويرى سريان المياه في
الأشجار وأعضائها وعروقها وجميع النباتات، ويرى نياط عروق
النملة والحوضه وأصغر من ذلك وتبارك من تسهر العمول عند
التأمل لبعض صفاته المقدسة، وتشهد الصائر كماله وعظمته
ولطيفه، وخبرته بالعيب والشهادة والحاضر والغائب ولحمي
والجلي، ويرى تعالى خيانات العيون بلحظها، أي حين يلحظ
لعبد منظرًا يخفيه على جنبيه، فبالله تعالى يراه في تلك الحالة
لتي يحرص على إخفاء ملاحظته عن كل أخذه ويرى قلب
لأجهان حين يقلبها الناظر من آدمي أو ملك أو جني أو حيوان،

ما يعرض لعلم غيره، فإن علم المحذوق يعرض به علم الإحاطة، ويعرض له النسيان لما علمه والله تعالى كما قال المصنف: «هو المحيط وليس ذا نسيان، كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّهِ كَسْرًا لَا يَصِلُ رَبُّهُ وَلَا يَمُوتُ﴾ (طه/ ٥٢)

وقال الحضر - الذي قد علمه الله من يديه علمًا كثيرًا، وحصة من علم الباطل بما ليس لموسى ولا لغيره - لموسى كلام الرحمن أعلم المخلوق على الإطلاق بعد محمد وإبراهيم عليهما السلام، لما بقي لحضر ليتعلم منه مَرًّا على البحر، فنقر عصمور من البحر بمقادير، فقال انصرف لموسى، «ما نقص عني وعلمت وعلم ماثر المخلوق من علم الله إلا كما نقص هذا العصمور من هذا لبحر»

ولما ذكر المصنف رحمه الله إحاطة علم الله بجميع الأكوان، ذكر إحاطته بجميع لأرض الحاصصة والحصصة والسعة، فقال وهو أعلم بما يكون غداً، أي المستقبلات، وما قد كان، أي ماضي من جميع الأمور الماضية، والموجود في ذا الآن أي الحاضرات كلها، دقيقها وجليلها، قد أحاط الله بها علمًا. ولما خلق الله أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال له: اكتب، قال ما اكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة. ولهذا يجمع الله

(١) ممتق عليه من حديث ابن عباس

كثيرًا من علمه المحيط وكتابه المحيطة بالآشياء، كما قال تعالى ﴿لَوْ نَحْنُمْ بِكَ اللَّهُ نَعْلَمُ مَا فِي كِتَابِهِ وَلَا مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ في كتابه ما بين يديه عن كنه أسرته ﴿صحيح ١٠٠﴾ وقال تعالى ﴿وَعَلَّمَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي من الأمور بمصيده، ﴿وما حفته﴾ أي من الأمور مستتبه. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة/ ٢٥٥) وقال فرعون لموسى ﴿فَمَا تَكْفُرُ لَأَوَّلَى رَبِّكَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّهِ كِتَابًا لَا يَصِلُ رَبُّهُ وَلَا يَمُوتُ﴾ (طه/ ٥١-٥٢)

وحين تستكمل خيفة لادمي يرسل الله إليه الملك، ويأمره بأربع كلمات، يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد، فما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف، وإذا مات المخلوق وتفرقوا في جهات الأرض وقلوات القفار ولجج البحار ويطون الطيور والسباع وصاروا رفقاء، وانصهرت أوصالهم، وتلاشت أعضاؤهم معتم الله محيط بهم ﴿فَدَعَانَا مَا تَحْتِ الْأَرْضِ مَتَى نَعِدَا كِتَابَ حَيْضِ رَبِّ﴾ (ق/ ١٤). فإذا نفخ في الصور أرسل الله كل روح إلى جسدها الذي كانت تعمده، ثم يوقمهم على كل ما عملوا من خير وشر، أحصاه الله ونسوه، فيعلم مقادير أعمالهم، ومقادير ثوابها وعقابها، ثم إذا استقر أهل الجنة بالجنة، وأهل النار بالنار، وجرت عليهم أحكام الجراء، فيعلم الله محيط بتفاصيل أحوالهم، وما هم فيه من السعيم والعلاب، فتبارك الله رب العالمين، ما أعظمه وأجله، وما أوسع صفاته وأكملها وأجملها

وقول المؤلف: وكذلك أمر لم يكن لو كان كيف يكون ذلك
إمكانه أي وكذلك يعلم تعالى الأمور التي لم تكن ولا تكون،
من الممكنات التي لم يوجد في البري ولن يوجد في البحر يعلم لو
وقعت كيف تكون، وكيف ينشأ عنها. مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُزِّقُوا
قَعْدُوا لَأَنجَبُوا عَنَّهُ﴾ [الأنعام/ ٢٨] فَرَزَّعَهُمْ لَا يَكُونُ، ولو كان على
لعرض والتقدير لعادوا لما نهوا عنه، من أخلعهم التي اكتسبو
فيها الشر معهم وقد عمرهم الله عمراً يتذكر فيه من تذكر، وجاءهم
الندبره فزألهم هذا لا محل له، وهم كنفه أيضاً في هذا
الزوال، لم يكن قصدهم، لا دفع العذاب عن حرم عبيهم،
فقالوا ما قلنا. ومثل قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا رَزَّاقُنَا إِلَهُنَا إِلَهُكَ وَكُنْهُنَّ
أَلْفُونَ وَخَمْسِينَ عَلَيْهِمْ كُلُّ نَفْسٍ لَقُلْنَا مَا كَانُوا يَلْعَنُونَ﴾ [الأنعام/ ١١١]. وقال تعالى: ﴿قَدْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَشْفَعَةٌ يَشْفَعُ
بُنَائِينَ بَنِيكُمْ إِلَهُكُمْ تَعْلَمُ﴾ [الأنعام/ ٩٥]،
ونحو ذلك من الآيات التي فيها الإحصاء عن أمر لم يكن أنه لو كان
لكان كذا وكذا

فصل

وهو الحميد فكل حمد واقع أو كان مفروضاً على الأركان
ملاً الوجود جميعه وبظيره من غير ما عدا ولا حساب
هو أهله سبحانه وبحمده كل المعامد وصف ذي الإحسان
عقد المصنف رحمه الله لهذا الاسم المبارك هذا الفصل على

حدثه، لشدة الاعتناء به وصعته وعظمته، فذكر أنه الحميد من
وجهين.

أحدهما: من جهة حمد المخلوقات له، وحدث أنه كل حمد
وقع من أهل السموات والأرض الأرباب والآخرين، وكل حمد
يضع منهم في يد واحد، وكل حمد لم ينع من بحق.
بل كان معروضاً ومقدراً حيث سبب لأمره وتوالت الأوقات.
حمداً يملأ الوجود كله، العالم العلوي والسفلي، ويملاً نظير
الوجود من غير عدد ولا حساب، فانه سبحانه أهله ومستحقه من
وجوه كثيرة. منها أن الله هو الذي خلقهم ورزقهم، وأمدى عليهم
لحم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية، وصرف عنهم النقم
والمكاره، فما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع المكروهات إلا
هو، فيستحق منهم أن يحمده في جميع الأوقات، ويشكروا عليه
ويشكروه بعدد اللحظات

والوجه الثاني من جهة أن المحامد والمدائح والسموات العجيلة
الجميلة أوصاف لله تعالى، فله كل صفة كمال، وله من تلك
الصفة أكملها وأعظمها فكل صفة من صفاته يسبح عليها أكمل
الحمد والثناء، فكيف يجمع الأوصاف المقدسة، فله تعالى
الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، لأنها كلها مدائح وكمالات،
وله الحمد لأفعاله، لأنها دائرة بين الفضل والإحسان، وبين العدل
والحكمة

فإن المصنف رحمه الله تعالى في كتابه أسرار الهجرين وباب

السعدتين^(١) لما ذكر الحكمة والقدرة

فصل

ويجمع هذين الأصلين العظيمين أصل ثالث، هو عقد نظامهما وجامع شملهما، وبحقيقته وإثباته على وجهه يتم بناء هذين الأصلين، وهو إثبات الحمد كنه الله رب العالمين، فإن المحمود على ما خلقه وأمر به وبهى عنه، فهو المحمود على طاعات العباد ومعاصيهم وإيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على خلق الأبرار والعجار والملائكة والشياطين، وعلى خلق الرسل وأعدائهم، وهو المحمود على عدله في أعدائه، كما هو المحمود على فضله وإيمانه، فكل ذرة من ذرات الكون شهادة بحمده، ولهذا سبحانه يحمده السجود والسبح والارض ومن فيهن: ﴿لَا يَسْبُحُ سُبْحًا﴾. وكان في قول النبي ﷺ عند الاعتدال من الركوع: «ربنا ولك الحمد ملء السماء وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد»^(٢)، فله سبحانه الحمد حمدًا يملأ المخلوقات والفضاء انسي بين السماء والأرض، ويملا ما يقدر بعد ذلك مما يشاء الله أن يملأ بحمده، وذلك يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يملأ ما يخلقه الله بعد السجرات والأرض، والمعنى أن الحمد ملء ما خلقته، وملء ما تحبته بعد ذلك

لثاني: أن يكون المعنى ملء ما شئت من شيء بعد يملؤه حمدك، أي يقدر مملوءًا بحمدك وإن لم يكن موجودًا، ولكن يقال: المعنى الأول أولى، لأن قوله ما شئت من شيء بعد يقتضي أنه شيء يشاءه وما شاء كان، والمشية متعلقة بعينه لا بمجرد ملء الحمد له فتأمل، نكه إذا شاء كونه، فله الحمد ملء، فالمشية راجعة إلى المملوء بالحمد، فلا بد أن يكون شيئًا موجودًا يملؤه حمده. وأيضًا فإن قوله من شيء بعد يقتضي أنه شيء يشاءه سبحانه بعد هذه المخلوقات، كما يخلقه بعد ذلك من مخلوقاته من القيامة وما بعدها، ولو أريد تقدير خلقه لقل: وملء ما شئت من شيء مع ذلك، لأن المقدر يكون مع المحقق. وأيضًا فإنه لم يقل: ملء ما شئت أن يملؤه الحمد، بل قل: ما شئت، والعبد قد حمد حمدًا أخير به وأنشأه، ووصفه بأنه يملأ ما خلقه الرب سبحانه، وما يشاء بعد ذلك، وأيضًا فقوله: وملء ما شئت من شيء بعد يقتضي إثبات مشية تتمق بشيء بعد ذلك.

وعلى الوجه الثاني قد تتلحق المشية بملء المقدر، وأيضًا فإذا قيل: ما شئت من شيء بعد ذلك كان الحمد مائتًا لما هو موجود، يشاءه الرب دائمًا ولا ريب أن له الحمد دائمًا في الدنيا والآخرة، وأما إذا قدر ما يملؤه الحمد وهو خير موجود، فالمقدرات لا حد لها، وما من شيء منها إلا يمكن تقدير شيء بعده، وتقديره لا نهاية له، كتقدير الأعداد، ولو أريد هذا المعنى لم يحتاج إلى تعديقه بالمشية، بل قيل: ملء ما لا ينأى، فأما ما يشاءه الرب

(١) ص ٢١٢ نشر دار ابن القيم

(٢) رواه مسلم

دلا يكون إلا موجوداً مقدراً، وإن كان لا احراز لحوادث أو بقاء ما يبقى منها، فهذا كله مما يشار به بعد. وأيضاً فالحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود على وجه الحب له، ومحاسن المحمود تدعى به صفة مدته وإم ظاهرة بمخلوقاته، فأما الممدوم المحض فبدي لم يحق ولا حتى قد تدعى به محاسن ولا غيرها، فلا محامد فيه الشئ، فالحمد لله الذي يملأ لمحمودات ما وجد منها ويوجد، هو حمد يتضمن الشاء عليه بكمال العالم بدته، والمحاسن الظاهرة في مخلوقاته، وأما مدلا وجود له فلا محامد فيه ولا مدام، فجعل الحمد مائلاً له جعله مائلاً له لا حقيقة له.

وقد اختلف الناس في معنى كون حمده يملأ سموات والأرض وما بينهما، فقالت طائفة: على جهة التمثيل، أي لو كان أجساماً لملأ السموات والأرض وما بينهما، قالوا: فإن الحمد من قبيل المعاني والأعراض التي لا تملأ بها لأجسام، ولا تملأ الأجسام إلا بالأجسام.

والصواب أنه لا يحتاج إلى هذا التكلف لئلا يكون كل شيء يكون بحسب المائىء والمملوء، فإذا قيل: امتلأ الإباء ماء، وامتلات الجنة طعماً، فهذا الامتلاء نوع، وإذا قيل: ملأ الدار رجالاً، وامتلات المدينة خيلاً ورجلاً، فهذا نوع آخر، ورد قيل: امتلأ الكتاب سطوراً فهذا نوع آخر، وإذا قيل: امتلأ سامع إنسان حمداً ودماً لفلان فهذا نوع آخر، كما في أثر معروف: أهل الجنة من امتلات مسامعه من ثناء الناس عليه.

وأهل النار من امتلات مسامعه من ذم الناس له، وقال عبد بن الخطاب في عبدالله بن مسعود: كَتَبْتُ مِثْلَهُ عَمَّاً. ويقال: فلان علمه قد ملأ الدنيا، وكان يقال ملأ ابن أبي الدنيا الدنيا الدنيا علمه، ويقال: صيت فلان قد ملأ الدنيا وصيق الآفاق، وجه قد ملأ القلوب، وبعض فلان قد ملأ القلوب، وامتلاً قلبه رعباً وهذا أكثر من أن يستوعب شواهد: وهو حقيقة في باب، وجعل الملاء والامتلاء حقيقة للأجسام خاصة تحكم باطل، ودعوى لا دليل عليها الشئ، والأصل الحقيقة الوحيدة، والاشتراك المحتوي هو الغالب على اللغة والأهم والاستعمال، فالمصير إليه أولى من المجاز والاشتراك. وليس هذا موضع تقرير المسألة.

والمقصود أن الرب أسماء كلها حسى، ليس فيها اسم سوء، وأوصافه كلها كمال، ليس فيها صفة نقص، وأفعاله كلها حكمة، ليس فيها فعل خال عن الحكمة والمصلحة، وله المثل الأعلى في السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم. موصوف بصفة الكمال، صنوت بنوعت الجلال، منزّه عن الشبيه والمثال، وسره عما يضاد صفات كماله، فمترّه عن الموت المضاد للحياة، وعن الشئ والنوم والسهو والعملة المضاد للقيام، وموصوف بالعلم منزّه عن أصدده كلها من النسيان والذهول وعيوب شيء عن عدمه، موصوف بالقلّة الثمة، منزّه عن ضدها من المعجز والمعوب والإعياء، موصوف بالعدل منزّه عن الظلم، موصوف بالحكمة منزّه عن العيب، موصوف بالسمع والبصر منزّه عن

أضدادهما من الصمم والكم، موصوف بالعمى والعوقية من، عن
أضداد ذلك، موصوف بالعمى التام، منزه عند يصاد، بوح، من
الوجود، ومسحون بلحم كنه، مستحيل أن يكون غير محمود،
كما يستحيل أن يكون غير قادر ولا خالق ولا حي، وله الحمد
كنه واجب لذاته، فلا يكون إلا محموداً، كما لا يكون إلا إنفاً
ورباً وقادراً.

إذا قيل الحمد كنه له فهنا له معنيان:

أحدهما: أنه محمود على كل شيء، ويكنى ما يحمده به
المحمود التام، وإن كان بعض خدقه يحمده إقناء، كما يحمده أنبأؤه
ورسله وأتباعهم، فذلك من حمده تبارك وتعالى، بل هو المحمود
بالقصد الأول وبالذات، وما نالوه من الحمد فإنما نالوه بحمده،
فهو المحمود أولاً واخراً وظاهراً وباطناً، وهذا كما أنه بكل شيء
عليه، وقد علم غيره من علمه ما لم يكن يعلمه بدون تعليمه، وفي
«دعاء المأثور» اللهم لك الحمد كنه، ولك السميت كله، وببك
الخير كنه، وإليك يرجع الأمر كنه، أسألك من الخير كنه، وأعوذ
بك من الشر كله^(١). وهو سبحانه له الملك، وقد أتى من انعمتكم
بعض خدقه، وله الحمد وقد أتى من الحمد ماشاء، وكما أن ملك
المخلوق داخل في ملكه، فحمده أيضاً داخل في حمده، فما من
محمود يحمده على شيء مما دق أو جل إلا والله المحمود عليه

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٦/٥ عن حذيفة بن اليمان

بالذات والأولية أيضاً وإذا قال: اللهم لك الحمد فالمراد به
أنت المستحق لكل حمد، ليس المراد به الحمد الخارجي فقط

السميت لثاني: أن يقال لك الحمد كله، أي الحمد التام
الكامل، فهذا محتص بالله ليس بغيره فيه شركة، والتحقيق أن به
الحمد بالمعنيين جميعاً، فله عموم الحمد وكماله، وهذا من
حبه لله سبحانه، فهو المحمود على كل حال، وعلى كل شيء،
أكمل حمد وأعظمه، كما أن له الملك التام العام، فلا يمتد كل
شيء إلا هو، وليس الملك التام الكامل إلا له، وأتباع الرسل
شئون له كمال الملك وكمال الحمد، لإيهم يقربون إنه خالق
كل شيء وربه ومليكه، لا يخرج عن خلقه وقدرته ومشيئته شيء
استة، فله الملك كنه

إلى أن قال،

نصل

والمقصود بيان شمول حمده سبحانه وحكمته لكل ما يحدثه
من إحسان ونعمة وامتداد وبلية، وما يقصيه من طاعة ومعصية،
والله تعالى محمود على ذلك مشكور، حمد المدح وحمد الشكر،
أما حمد المدح فله محصور على كل ما خلق، إذ هو رب
العالمين، والحمد لله رب العالمين، وأما حمد الشكر فلأن ذلك
كنه نعمة في حق المؤمن إذا اقترن بواجبه، والإحسان والنعمة إذا
اقتربت بالشكر صارت نعمة، والامتداد والبلية إذا اقترنا بالنصير

كأن نعمه ، بعدة من أجل نعمه وأما معصية فرد فترى
 روحها من سيرة الاستعلاء والانه والند وبخسوع لقد رتب
 عليها من الآثار المحموده والعايات المطلوبة ما هو نعمة أيضا ،
 وإن كان سببها مسخوفاً مبعوضاً للرب سبحانه ، ولكنه يحب ما
 يترتب عليه من التوبة والاستغفار

إلى أن قال : والمقصود أن الملك والحمد في حقه متلازمان ،
 فكما شمله ملكه وقدرته شمله حمده ، فهو محمود في ملكه ، وله
 الملك والقدره مع حمده ، فكما يستحيل خروج شيء من الموجودات
 عن ملكه وقدرته يستحيل خروجها عن حمده وحكمته ، ولهذا
 يحمد سبحانه نفسه عند خلقه وأمره ، لينبه عباده على أن مصدر
 خلقه وأمره عن حمده ، فهو محمود على ما خلقه وأمر به حمد
 شكر وعبودية ، وحمد لله ومدح ، وبجمعها التذكير ، فتبارك الله
 يشمل ذلك كله ، ولهذا ذكر هذه الكلمة عند قوله ﴿ آيَاتُ الْخَلْقِ
 وَالْآخِرُ تَارِكٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف ٥٤] والحمد أوسع
 انصرفت وأعم المدح ، وتطرق إلى لسانه في عباده أكثره ،
 والميل إلى اعتباره في ذرات العالم وجزئياته ، وتفاصيل الأمر
 والنهي واسعة جداً لأن جميع أسمائه تبارك وتعالى حمد ،
 وصفاته حمد ، وأفعاله حمد ، وأحكامه حمد ، وعنده حمد ،
 وانتقامه من أعدائه حمد ، وفضله وإحسانه إلى أربابيه حمد ،
 والخلق والأمر إنما قام بأمره بحمده ، ووجد بحمده ، وظهر
 بحمده ، وكان بداية هي حمده ، فحمده سبب ذلك وغيره ومظهره

بحمده ، فحمده روح كل شيء ، وفهم كل شيء بحمده ، وسرور
 حمده في الموجودات ، وظهور آثاره فيه أمر مشهود بالأبصار
 والبصائر

ثم ذكر الطرق الدالة على سريان حمده وشموله بتدبير أسمائه
 وصفاته وأفعاله ونعمه ، وأطاع في ذلك ، جزاء الله عن الإسلام
 والمسلمين خيراً

فصل

وهو المكلم عبده موسى بتكليم الحطاب وقبلة الأبنوان
 كلماته جلت عن الإحصاء والله عداد بل عن حصر في الحسبان
 لو أن أشجار البلاد جميعها آلات كلام تكلمها بكل بلد
 والبحر تلقى فيه صبعة أبحر لكتابة الكلمات بكل زمان
 تعدت ولم تعد بها كلماته ليس الكلام من الإله بسان
 يعني أنه تبارك وتعالى متكلم إذا شاء وكيف شاء ولم يزل ولا
 يزال مصف الكلام موصوفاً ، وبالب والإحسان معروفاً ، وهو لدي
 يكلم بالكلام القدري الذي يوجد به الأشياء ، كما قال تعالى : ﴿ يَكُنْ
 قَوْلُ شَيْءٍ إِنْ أَرَدْنَاهُ أَنْ نُنْزِلَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس ٤٠] ، ويحكم
 بكلامه الشرعي الديني ، الذي منه الكتب التي أنزلها الله على
 رسله ، فهو الذي يتكلم بها حقاً ، ونزل بها جبريل من عنده
 صدقاً ، ليست بمخلوقة بل هي من جملة صفاته تعالى .

وتكليمه لعباده نوح بلا واسطة، كما كلم موسى بن عمران، قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [الباء: ١٦٤].
وكلم كلم لأتوب آدم وجوه. ﴿وَنَادَاهُمَا أَنِ اسْكُبَا فِي يَتْمِكُمَا
أَشْجُرًا﴾ [الأعراف: ١٢٢]، وكما نادى محمدًا ﷺ وخاطبه حين أسرى
به، وكما يخاطب الله أهل الموقنة وأهل الجنة في الجنة حين
يرونه، ويكلمهم ويكلمونه.

النوع الثاني: تكليمه لعباده بواسطة، إما بالوحي الخاص
للأنبياء، وإما بإرساله إليهم رسولاً يكلمهم من أمره بما شاء، وقد
ذكر الله هذه الأنواع في قوله ﴿وَمَا كَانَ لَشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحًا
أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَدِيبِهِ فَتَقُولُ﴾ [الباء: ٢١].

واعلم أن جملة الكلام لله تعالى من صفاته الذاتية، من حيث
معلقها بذاته واتصافه به، ومن صفاته لجمعية، حيث كانت متعلقة
بصدره ومثبتة، فإذا كان معلوم أن الله لم يزل ولا يزال كامل
القدرة باقية المشيئة علم أنه لم يزل ولا يزال متكلمًا إذا شاء، لأن
الكلام من 'حق' صفات الكبر، سي يستحيل على الله أن لا يوصف
بها، وكل صفاته تعالى غير متناهية، فلا تغنى ولا تبده، فلو أن أشجار
الأرض جميعها من عمرائها وقفارها وبحارها وأقلام، والبحر تملأه
من بعده مبعة أبحر مداد، فكتب بتلك الأقلام بذلك المداد
لكسرت الأقلام ونفذ المداد، وكلام الله لا ينسى ولا يتفقد، وذلك
أن المخلوق متناه، له نهاية وحد، وصفات الله ليس لها غاية ولا
حد، قال تعالى ﴿وَأَنَّ فِي رَبِّكَ الْفَتْحَ﴾ [الجم: ٤٢]. ومن

تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ أَكَلَهُ وَالْخُحْرُ بِذُرُومٍ بِقَدِيرٍ مَسْبُوعٌ
أَخْضَرْنَا بَدْرًا كَلِمَاتُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَكِيمَةٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

وهذا كله من باب تفريب المعنى العظيم الواسع الذي لا
تدرجه الأذهان إليها بهذا المثال الذي يسهل العقول، ولهذا قال
المؤلف: ليس الكلام من الإله بفاقي. ولم يقدر الله حتى قدره من
رغم أن كلامه مخلوق من جملة مخلوقات الله تعالى، وكيف
يكون انوصف المصاف إلى الله تعالى مخلوقًا، يلزم منه أن يكون
كلامًا للحق، فإذا كان علم الله وقدرته ونحو ذلك من أوصافه
يستحيل أن تقوم بغير الله وأن تكون مخلوقة، فكلامه كذلك.

وهو القدير ليس يمجده إذا ما رام شيئًا قط ذو سلطان
وهو القوي له القوى جميعًا تعالى رب دي الأكوان
يعني أنه تعالى القدير كامل القدرة، فكلمه أواه فعله من غير
عجز ولا معارض له ولا مضاد، فإذا أراد إيجاد شيء أو إعدامه
فلو اجتمعت الحليقة كلها على معارضته في شيء من ذلك لم
يكن لهم قدرة على معارضته، كما قال النبي ﷺ في الحديث
الذي رواه الترمذي وغيره عن ابن عباس أنه قال لأبي عباس
"واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن يصعوك بشيء (أي قتل أو
كثير) لم ينفعوك إلا بشيء قدره الله لك، ولو اجتمعوا على أن
يصعوك بشيء لم يصعوك إلا بشيء قدره الله عليك". قال تعالى
﴿وَمَنْ يَدْعُوا لَا هُوَ مُشْفِعُونَ لَهُمْ﴾ [هود: ٥٦]. وهو القوي الذي له

العذاب وأصناف النعيم المستمر الكثير المتتابع، الذي لا ينقطع ولا يتناهي، وقد أخبر عن كثير من الأشياء به قدر على فهمه، ولكنه لا يفعلها، لأن الحكمة تقتضي عدم إيجادها، قال تعالى ﴿فَرَحُّهُ أَعْظَمُ عَلَى الْإِيمَانِ مِنْ عَذَابٍ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ مِنْكُمْ شَيْعًا﴾ [الأنعام/ ٦٥]، ﴿قُلْ أَوْشَكَ اللَّهُ مَا تُزَكُّوهُ عَنْكُمْ وَلَا تَزَكِّكُمْ يَوْمَ﴾ [يونس/ ١٦]، ﴿وَلَوْ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام/ ٤٩]، قدرة الله تعالى لا تستعصي على شيء، ﴿إِنْ يَكُ فَعَالًا فَيَكْبُرُ﴾ [هود/ ٦٧]

وهو العزيز قلبي يرام جنابه أنى يرام جنابه ذي السطوى وهو العزيز القاهر المقلب لم يخبه شيء هذه صفات وهو العزيز بقوة هي وصفه فاعز حيث ثلاث معاني هذه الآيات الثلاثة مشتملة على معنى اسمه العزيز فذكر له ثلاث معاني.

الأول: العزيز بمعنى الممتنع الذي لا يرام جنابه، لعظمة سطوته وجبل كبريائه، قال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم لن تبغوا ضري فتضروني، ولن تبغوا نفي فتنفعوني»^(١).

ولمعنى الثاني: أنه العزيز بمعنى القاهر لكل شيء، الذي قهر جميع الأشياء، فما من دابة إلا هو آخذ بزمامها، ولا حول

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة

ولا قوة بأحد إلا بالله العلي العظيم، فلا يتحرك متحرك إلا بإذنه، ولا يسكن ساكن إلا بعينته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فهو الذي قهر كل شيء، ودد به كل حي، وفعلت إرادته في كل شيء.

والمعنى الثالث أنه العزيز بمعنى القوي المتين، فيه القوة الكاملة لشي لا عجز ولا نقص فيها بوجه من الوجوه، فصار معنى العزيز بمعنى القوي المتين، وهو تعالى ﴿يَرْبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة/ ٢٥٠]، ﴿وَهُوَ أَعَزُّ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [البقرة/ ٢٥٠]، فإذ تفيد الاستعراق والعموم لجميع معاني العز، وبهذا قال المؤلف.

وهي التي كملت له سبحانه من كل وجه حاد النقصان أي هذه المعاني الثلاثة قد كملت له من جميع الوجوه، فلا نقص في شيء منها.

وهو العتي بذاته لقضاء ذاتي له كاجوده والإحسان قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٩٥]، فهو تعالى العتي بدي له ليس سام المطلق من كل الوجوه والاعتبارات لكعله وكعالم صفاته، بحيث لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا عتي، وإن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا غنياً وازفاً محسناً جواداً كريماً رحيماً، فلا يكون إلا غنياً عن الخلق لا يحتاج إليهم

شيء من الأشياء، بل هم المقرآن إليه في جميع أمورهم، لا يستغنون عن إحسانه وكرمه وتدبيره طرفة عين

ومن كمال غناه أن حزائن السموات والأرض بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأعاس، وأن يديه سبحانه الليل والنهار، وأراهم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يعبس ما في يمينه

ومن كمال غناه أن يدعو عباده إلى سوائه، ويعدهم بالاجابة، ويؤتيهم من كل ما سألوه ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ قُلْ أَتُخْشَوْنَ﴾ [ابراهيم/ 34] ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ فَتْنَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل/ 53]

ومن كمال غناه أنه لو اجتمع أهل السموات والأرض وأول لخلق وآخرهم وإنسهم وجنهم في صعيد واحد، فسأله كل واحد منهم ما بلغت أميته، ما نقص ذلك من ملكه شيئاً

ومن كمال غناه وسعة عطياه ما يسطه على أهل دبر كرمه من بلدات المتابعات والشهوات المتواصلات، مما لا عين رأت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فهو العلي بذاته، السعي لجميع مخلوقاته

ومن غناه أنه لم يجد صاحبة ولا ولي ولا عتبة، ومن غناه ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَّشْحُورٌ هُوَ الْأَفْهَىٰ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَإِنَّهُ غَلِيظُ الْعِقَابِ﴾ [النجم/ 138] وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ أَفْهَىٰ وَأَعْلَىٰ﴾ [التجم/ 138] تبارك وتعالى وتقدس

وهو الحكيم وذلك من أوصافه
حكمه وأحكامه فكل منهما
والحكم شرعي وكوني ولا
بل ذاك يوجد دون هذا مفرداً
لن يخلو المربوب من إحداهما
لكنما الشرعي محبوب له
هو أمره الديني جاءت رسد
لكنما الكوني فهو فضائله
هو كله حق وعدل ورعي
فذلك ترضى بالقضاء وتسخط الـ
فإنه يرضى بالقضاء ويسخط الـ
فضائله صمة به قامت وما
والكون محبوب ومينوق له
هذا البيان يزيل لنا ظالما
ويحل ما قد عقدوا بأصولهم
من وافق الكوني وافق سمطه

سوعن أيضاً ما هما عدلان
سوعن أيضاً ثابتا لبرهان
يتلازمان وما هما سيان
والعكس أيضاً ثم يجتمعان
أو منهما بل ليس يتصل
أيذا ولي يخلو من الأكوان
يقامه في سائر الأزمان
في خلقه بالعدل والإحسان
والشأن في المقضي كل الشأن
حقضي حين يكون بالمعيلان
حقضي ما الأمران متحدان
المقضي إلا صفة الإنسان
وكلاهما بمثلية الرحمن
ملكيت عليه الناس كل زمان
ويحوثهم فافهمهم بهم بيان
أولم يوافق طاعة الرحمن

لذلك لا يصدوه دم أو فؤاد من الحمد مع أجر ومع وصوان
وعوائق الدين لا يصدوه أجر - سر بل له عبد الصواب الثنا
أطال المؤلف رحمه الله الكلام على هذا الاسم المبارك «الحكيم»
لاقتضاء الحال للاطلاع واليسر، فإنه كما قال في آخر هذا الكلام:
«هذا البيان يزِيل لبثه إلى آخر ما ذكره. فذكر أن الحكيم من
أوصاف الله تعالى نوعان: أحدهما حكم، والثاني أحكام، وكل
واحد منهما نوعان، فتصير الأقسام أربعة: حكم قدري كوني،
وحكم شرعي ديني، وحكمة في جلعه، وحكمة في أمره. فذكر
أن الحكم القدري والحكم الشرعي لا يتلازمان، أي لا يلزم من
وجود أحدهما وجود الآخر، ومن عدمه عدم الآخر، كما هو شأن
كل متلازمين، بل قد يوجد الشرعي دون القدري، وقد يوجد
القدري دون الشرعي، وقد يجتمعان، ولكنهما لا يرتفعان، أي لا
يعقدان كلاهما، ولهذا قيل: لن يخلو المربوب أي المخلوق،
وهذا شامل للمخلوقات كلها، أي لن يخلو شيء من المخلوقات
من أحد الحكمين، أو منهما بل ليس يتفقان أي لا يعدمان،
فيصير المربوب خاليًا منهما، فإن هذا محال

وبيان ذلك أن الحكم الشرعي هو الحكم الذي تعلقت به
محبية الله تعالى، وهو الحكم الذي شرعه وحكم به على النية
رسله، ودعوا إليه العبادة فقام به من استجاب لهم، وإذا وجد
الحكم الشرعي فغلاً فإنه لا يخلو من الأكوان أي لا يخلو من
الحكم لقدري، وذلك أن الإيمان ولطاعات الصادرة من المؤمن

نفسه الله وقدره وتوليئه، فإذا وجدت الطاعات وجد الحكم
معاً. وإذا وجد الكفر والعصق والمعاصي وجد الحكم القدري،
لكنها واقعة بقضاء وقدر، دون الحكم الشرعي، لعدم تعلق الأمر
والمحبة بها، وإذا كان الأمر بالخير والإيمان والطاعة موجوداً،
ولم يقم به من أمر به، كان الحكم الشرعي موجوداً لوجود الأمر،
دون القدري فإنه لو وجد لمحصلت، فإنه ما شاء الله كان، فالحكم
الكوني هو قضاء على خلقه بالعدل والإحسان، أي لأن أفعاله
تعالى لا تحلو من هذين الأمرين، إما إحسان ونعم، وإما عدل،
وهو تقديره ما يقدره من وقوع الشر من أهل الشر، ومن عقوباتهم
في الدنيا والآخرة، فإنه عدل يحمد عليه، لموافقته الحكمة،
وروضه العقوبة مرصعها.

وذكر المصنف الفرق بين القضاء والمقتضي، وأن القضاء وصف
لله تعالى وجعله الذي يتعين الرضاء به، لكرهه غير خارج عن العدل
والعقل، وأن المقتضي صفة للإنسان وجعله، وحدث باسم إلى
قسمين محمود ومذموم، فيرضى بالمحمود من المقتضي، كالطاعات
والإيمان الصادر من أهل الخير، ويسخط بالمذموم من ذلك،
كالعصا الواقعة من فاعليها، وذلك كله موافقة لمحبية الله
وكرهته، فإن الله يرضى ويحب من عباده الإيمان والشكر وأنواع
الخير، ويكره منهم الكفر والعصق والمعاصي. فانكون بالنسبة
إلى الحكم الشرعي ينقسم إلى قسمين: محبوب لله وميقوض له،
وبالنسبة إلى الحكم القدري كله واقع بمشيئة الله وقدرته، ولهذا

قال: وكلاهما بمشبه الرحمن.

فهذا التفصيل الذي ذكره المصنف يكشف الأمر ويتضح، ويرى ليس أي اختلاطاً واشتباكاً طالما هلكت عليه الدس مذ رمان، سب اشتباه الحق بالباطل، وعدم تمييز الأمور وتفصيلها، من كثير؛ من المتكلمين أضلوا لهم أصولاً فاسدة يبنى عليها عقائد باطلة، كما قرر كثير من أهل التصوف وأهل الكلام أن الحكم القدري مرادف للحكم الديني، وأن الله يحب كلما قدره وقضاه، وهذا من أعظم الباطل وأشدّه، فإنه يتضمن التسوية بين الأبرار والعجّار، وبين البر والمجرور، ويلزم منه إبطال الشرع وعذر من ظلم وعصى، لأنه موافق للقضاء والقدر، وهذا تكذيب لله ونكبه ورسله. ولهذا قال المصنف: هذا البطل يزيل ليس طال ما هلكت عليه الناس مذ رمان، أي بسبب اختلاط الحق بالباطل، ويحل ما قد عقدوا من الأعدال، والعقائد الباطلة، بأصولهم التي سوه، وسخّوهم التي هي نتائج ارتهم الفاسد وعقولهم لصعته ومقصدتهم السيئة، ففهمه فهم بيان، لأنه موضع فهم خطر لا يكاد يوجد هذا التفصيل بغير كتب المصنف وشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية

إذا تقرر ما تقدم من أن الأحكام نوعان: أحكام قدرية موافقة للقضاء والقدر، وإن لم توافق محبة الله، وأحكام دينية موافقة للمحبة والأمر الديني، وإن لم يوجد معها الحكم القدري، وأنها قد يجتمعان أو يتفرّد أحدهما، فمن وافق في فعله وقوله وبيته

الحكم القدري وحده، بأن لا يكون ما فعله أو قدره أو بوجه محبوس لله، فإنه لا يجوز ما أن يوافق سبحانه في سخطه الله إذا كان ذلك معصية، وما أن لا يوافق مرضاه الله، وذلك إذا كان ما فعله أمراً مباحاً غير طاعة ولا معصية، فذلك لا يعدوه دم إذا كان معصية، أو قوات الأجر إن كان مباحاً، وموافق الديني وهو الذي امتثل ما أمر الله به، وجنب ما نهى عنه بحسب قدرته وبمكانه، لا يعدوه أجر إن اجتهد فأخطأ الحق، بل له عند الصواب أي إذا اجتهد فأصاب شاء أي أجره، كما قال النبي ﷺ: إذا اجتهد لحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر^(١). لأن بيته الحق، وسعى لتعصيه، وذلك عمل صالح، ولكن فاته إدراكه بعير تغربط منه

وحاصل ما ذكره المصنف في هذا الفصل أن الحكم هو من له الحكم وله الأحكام، وأن الحكم نوعان: حكم كوني شامل لجميع ما قدره وقضاه وكونه من خير وشر، وحكم ديني محتمس بما يحبه الله ويرضاه، وأن من وجد منه الخير بالفعل، واجتمع في حقه الحكمان معاً، ومن وجد في حقه الشر بالفعل، انفرد في حقه الحكم الكوني، لأنه بقضاء وقدر، والله لا يحب الشر والفساد، ومن توجه إليه الأمر الديني فلم يتقد له، وجد فيه في تلك لحان لحكم الديني، لأنه وجه إليه، ولم يوجد الحكم القدري، لأنه لم

(١) متفق عليه من حديث عمرو بن العاص

ينقد له، ولو شاء الله لعمله

وأن القضاء غير المقضي، فالتقضاء لعل الله يجب الرضاء به من غير تفصيل، لأنه عدل وإحسان لا يخرج عن الحسد والحكمة، والمقصي فعل العبد، وفي الرضاء به تفصيل، فإن كان خيراً وطاعة وإيماناً تعين الرضاء به ومحبته، وإن كان شراً ومعصية وكفرًا تعينت كراهته، وإن لم يكن لا خيراً ولا شراً لم يتعين فيه الرضاء ولا الكراهة^(١٦). ثم ذكر الأحكام والحكمة فقال:

فصل

والمحكمة العليا على نوعين أي	مضاً حصلاً يقواطع البرهان
إحداهما في خلقه سبحانه	نوحان أيضاً ليس يقتصران
أحكام هذا المخلوق إذ إيجاد	في غاية الإحكام والإنقاذ
وصدوره من أجل غايات له	وله عليها حمد كل لسان
والمحكمة الأخرى لمحكمة شرعه	أيضاً وفيها ذاتك الوحدان
غاياتها اللاتي حمدن وكونها	في غاية الإحكام والإنقاذ
هذا النوع الثاني مما يدعى عليه اسم الله «الحكم» وهو أن له	

(١) قلت لم يذكر هنا حكم الرضى بالمصائب، ولعله الخلاف فيه من هو مستحب أو واجب، وقد ذكره في الدورة البهية وأنه مستحب، وظاهر كلام شيخ الإسلام الوجوب والله أعلم

الحكمة النامة في خلفه وامراء، وحكمته علياء لا يشابهها شيء،
ليس كمثله شيء في جميع دعوته التي من جعلتها الحكمة.

والحكمة في حلقه على نوعي

أحدهما: أنه أحكم جميع ما خلقه وأتقنه بأحسن خلق وأتم
نظام، لا يمكن أحد من الخلق أن يقترح أحسن منه، ولا يرى فيه
عيباً ولا عيباً، فكل ما جمعه فهو محكم متين، ثم يحسنه
عشاء، ولا حتى شيء معيب، قال تعالى ﴿وَمَا يَشَاءُ اللَّهُ وَمَا
يَشَاءُ اللَّهُ وَمَا يَشَاءُ اللَّهُ﴾ [سورة الحديد: ٢٦]، فهو ليس بطوبى بطله لغير
الشيء، وبدي من جعلته أنه محسن شيئاً غير فائدة ولا مصلحة،
وقال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾
[الحج: ٥٥]، وقال تعالى ﴿أَلَيْسَ أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا وَتَدَّأَ خَلْقَ
الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]، وقال تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي
أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [البقرة: ٤]، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا فِي خَلْقِ السَّمَكِ
وَالْأَرْضِ وَاحْتِسَابِ الْآثَانِ وَالْهَارِ لَافِتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]،
وبحسبها من الآيات التي يحث الله بها العباد إلى النظر والتفكير في
المخلوقات، لاشتغالها على الحكم البالغة والسبح لسبحه، وأبي
سبحه من كل عيب وعيب، قال تعالى ﴿أَلَيْسَ خَلْقُ سَمَكٍ سَكِينٍ بِلِقَائِهِ
مَا تَرَى فِي خَلْقِ أَرْحَمٍ مِنْ تَقْوٍ فَإِنَّ بَصَرَ هَذَا تَرَى مِنْ تَقْوٍ﴾ ثم ترجع البصر
كزيتي بقلب إليك البصر خائفاً وهو خبير [الملك: ٣ - ٤]، لم ير
حسناً ولا نقصاً، بل يرى جميع العالم على أتم نظام وأكمل خلق
وأحسنه، فهذا نوع من أنواع الحكمة في الخلق، وهو أنها كلها

محكمة متينة، تشهد حكمتها بالأبصار والبصائر ويحصى أكثرها،
فيستدل بها علم منها على ما لم يعلم

والمراد الثاني: أنها مخلوقة لعبادة، ومقصود بها مقصود
عظيم، فخلقها الله تعالى ليستدل به العباد على ما لله من صفات
الكمال، وماله من جميل الأعمال، وهذه غايات يحمد عليها،
لخصها ظهور آثار أسماؤه وصفاته ومعرفته لعباده لها، وأيضاً خلق
الله السموات والأرض وما بينهما بالحق، فهي مخلوقة بالحق
وللحق، ومن ذلك أنه لجاري المحسن بخصائه والمسيء بإساءته،
وخلق الله المكلفين ليعرفوه ويعبدوه ويطيعوه لأجل أن يجازيهم
بأعمالهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَةٍ ﴾
[الذاريات/ ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ أَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ سُبُوتٌ بِشَيْءٍ مِثْلَهُنَّ
بَيِّنَاتٍ لِّشَيْءٍ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ دَلِيلُ كُلِّ شَيْءٍ
يَعْلَمُ ﴾ [الحق/ ١٢]، ففيها بين لا بين لإحسان من أن عبادة
لحق السموات والأرض ونحن والإنس والبر والشرع على الأبد
لأجل أن يعرفوا الله بأسمائه وصفاته، ويعبدوه بمقتضى ذلك.

وقال تعالى: ﴿ إِنِ احْسَبَ الْإِنْسُ أَنْ يَرْكَسَكَ ﴾ [الغالب/ ٢٦]، أي
معتلاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب، فإن هذا ظن فاسد،
لأنه ينضم المثل في أفعاله تعالى، وهو سره عن ذلك، ثم قرر
ذلك بدليل عقلي، فقال: ﴿ أَتَرَى شَرْعًا مِّنْ مَّيْمَنِي ﴾ ثم قال عليه من خلق
موسى ﴿ لِمَ بَدَأَ تَوَلَّيْتَ الذِّكْرَ وَالْأُنْثَى ﴾ أليس ذلك بقدر على أن يحق كذا؟
[الغالب/ ٣٧]، فاللهي من الإنسان بهذه الأطوار المشوغة،

حتى أوصله إلى ما وصل إليه، لا يليق به أن يهمله ويعطله عن
أمره ونهيه وثوابه وعقابه.

وبعد هذا فوجه تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّ عَيْنَكُمْ تُبْصِرُ شَيْئًا
لَّا تُرْجِعُونَ ﴾ [ممتلى الله/ ١١٥]، أي تنزه عن هذا
الحسبان ما ظن بصدي بعبك وحمده وكذبه، ولهذا قال ﴿ لَمَّا لَيْتَ
الْحَقَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴾ [سور يونس/ ١٦]، ومن
الملث الحق لا بد أن يأمر ويهيى ويثب ويعاقب، ويجازي المحسن
بإحسانه، والمسيء بإساءته، وقال تعالى منزهاً نفسه عن ظن من
ظن أنه يترك حذقه سدى، لا يرسل إسم رسولاً، ولا سرب عليهم
كانت ﴿ وَمَا تَدْرُوهُ اللَّهُ خَلَقَ قَدِيرُهُ قَالُوا مَا أَرْسَلْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾
[الأنعام/ ٩١]، إني غير دلت من النصوص النادرة على هذا الأصل
الكبير، وهو أن أفعاله تعالى كلها محكمة متينة لا عيب فيها ولا
خلل، وأنه فعل ما فعله لعباده محموداً ومقاصد سديده

ثم ذكر المحكمة الأخرى في شرعه وأنها على نوعين أيضاً:

أحدهما أنها في غاية الإحكام والانتقان، ويكفي في هذا الموضع
معرفة القاعدة العامة، وهي أن الأوامر والنواهي تبع للمصالح
والمفاسد مفعلاً وبرئاً، فكل أمر مشتمل على المصلحة محلبة أو
لمصلحة المرجحة فإنه مأمور به، وكل أمر مشتمل على مفسدة
محلبة أو راجحة فإنه منهي عنه، ويدل على هذا قوله تعالى في
وصف لبي ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَبِالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ لَمْ
يْلَهُمُ الطَّيِّبُ وَنُحِرُوا عَنْهُمْ الْحَبِيبُ ﴾ [الأعراف/ ٥٧]، فالمعروف

الذي يأمر به هو ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً، وذلك ما ترجحت مصلحته، وفائدته في القلب والبدن والدنيا والآخرة. والمنكر الذي ينهى عنه هو ما عرف قبحه شرعاً وعقلاً، وذلك ما ترجحت مضرته في الدنيا والآخرة والقلب والبدن. والطيات التي أحلها كل مأكول ومشروب وملبوس ومتكوح وصفة الطيب والمنفعة الذي يضطر أو يحتاج إليه. والحيثيات التي حرمها صد ذلك

وقال تعالى ﴿وَتَمَازُونَا عَلَى أَنْبَرٍ وَتَفْقَرُونَ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُبُورِ﴾ (المائدة ٢٤)، فالبر والتفقر الذي أمر الله بعبده والسعي عليه كل عمل صالح وحلق فاضل وفعل رشيد وقوله صديد، من الإخلاص لله تعالى، والصدق، وحسن الخلق، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى عموم الخلق، والعدل بينهم، وسلامة الصدر، والنصح للخلق، والتأدب بالأداب الحسنة، والرفق واللين والسماحة، وغير ذلك مما حث الشرع عليه.

وحد ذلك النهي عن الكبر والتجبر على الخلق، والكذب، والرياء، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، وظلم الخلق في دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وسوء الخلق، وغير ذلك من مساوي الأخلاق.

ومن أحكام الأمر والنهي أن شريعة نبينا محمد ﷺ صالحة لكل زمان ومكان، فكل وقت ومحل يحتاج إليها فيه، بل لا يصلح التسبب ولا حر، إلا بالعمل بها، وهذا كانت من أعظم الأدلة على كمال من أنزلها وعلمه وحكمته وصدق رسوله ﷺ، ولهذا

كبر حاتم لأبيه، فلا يسي بعده. قد تعالى ﴿أَيُّومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة ١٢)

والنوع الثاني من حكمة الأمر: أن الله أمر ونهى وشرع الشرائع لينتهي عبده، المطيع منهم والعاصي، والصادق والكاذب، وليقوم سوق الجهاد والعبادات التي يحبها ويرضاها، وليستور القلوب بمعرفة، والألسنة بذكره، والأعضاء بطاعته، وليطيب المطيعين من فضله وكرمه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويثبم عليهم فضله وإحسانه، إلى غير ذلك من الغايات والحكم التي شرع الله الشرائع لأجلها.

قل المصنف في ابدع القوائد ج٢ ص ١٦٢ بشر دار الكتاب. فتأمل أسرار كلام رب العالمين، وما تضمنته آيات الكتاب المجيد من الحكمة البالغة الشاهدة بأنه كلام رب العالمين، والشاهدة لرسوله بأنه الصادق المصدوق، وهذا كله من مقتضى حكمته وحمده تعالى، وهو معنى كونه خلق السموات والأرض وما بينهما بالحق، ولم يخلق ذلك باطلاً، بل خلقه خلقاً صادراً عن الحق، أيلاً إلى الحق، شتملاً على الحق، فالحق سابق لحقيقة، مقارن له، غاية له، وهذا أتى بالباء الدالة على هذا المعنى، «دون اللام المعيدة للمعية وحدها، فالباء مفيدة معنى اشتمالها على الحق لسابق والمقارن والعاية، فالحق السابق صدور ذلك عن علمه وحكمته، فمصدر خلقه تعالى وأمره عن كمال علمه وحكمته، وبكمال هاتين الصفتين يكون المفعول الصادر عن الموصوف بهما

حكمه كله ومصدره وجود وهذا قال تعالى ﴿وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وأحرر عن مصدر الحسبي عن علم لتكلم وحكمته، وما كان كذاً كان صدقاً وعدلاً وهذا ورشاداً، وكذا قلت الملائكة لامرأة إبراهيم حين قالت: يا ربى أله وإن عجزوا؟ قلت كذاً فإن ربك إله هو بحكم الميم، وهذا رجع إلى قوة وحلته، وهو حين لولدهما على الكبر. وأما مقارنة الحق لهذه المخلوقات فهو ما اشتملت عليه من الحكم والمصالح والنفعة، ولا بد له من المصالح على نفسه. ووجدانيته وصفاته وصدق رسوله، وأن لقائه حق لا ريب فيه.

ومن نظر في الموجودات ببصيرة قلبه رآها كالأشخاص الشاهدة بصدقته، بل شاهدها ثم من شاهده الحبر مجرد. لأنها شهادة حال لا تقبل كذباً فلا يتأمل العاقل المستنير محذوراً حتى يأمته إلا وحده شاهد دلائل على فطرته وبريه، وعلى وجدانيته، وعلى كمال صفاته وأسمائه، وعلى صدق رسوله، وعلى أن لقائه حق لا ريب فيه.

وهذه حريفة العرب في إرشاد الخلق إلى الاستدلال بأدلة المعجومات وأحوالها على إثبات الصانع، وعلى التوحيد والمعاد والنبوة، فمره يحبر أنه لم يخلق خلقه بخللاً ولا عتلاً، فمره يحبر أنه خفيهم بالحق، ومره يحبرهم ويسهم على وجوده لا على الاستدلال بها على صدق ما أحبر به رسوله، حتى يبين لهم بالوهم إنما جادوهم بما يشاهدون أدلة صدقه، وبما لو تأملوه

بوجوده مركوراً في قصصهم مستعز في عقولهم، وأن ما يشاهدونه من مخلوقاته شاهد بما أخبرت به عنه رسوله من أسمائه وصفاته وتوحيده ولقائه ووجود ملائكته وهذا باب عظيم من أبواب الإيمان، إنما يفتح الله على من صفت له عن الله سابقة العبادة وهذا أشرف علم يناله العبد في هذه الدار

وقد بينت في موضع آخر أن كل حركة تشاهد على اختلاف نوعها فهي دالة على سوحه وسواب والمعاد، وطريق سبيله وصحة برهانيته، وكذا ذلك في رسالة أبي بعض لأصحاب بدر وأصح أن لروح مركور في أصل فطرته وحلته شاهدة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الإنسان لو استقصى لتبين بوجد ذلك مركوراً في نفس روحه ودانته وقصره، فهو تأمل لعالم لروح وحركتها فقط، لا يخرج منها الإيمان بالله وحده، وشهادة بأنه لا إله إلا الله ولا إله غيره وملائكته وصدقته، وهذا يصدق بهذا من أشرفت شمس الهداية على أفق قلبه، وإنجابت عنه محاذ عبه، وانكشف عن قلبه حجاب ﴿إِنْ وَجَدْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ أنورين عن أنسهم مؤمنون ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فهاهنا يصدق به طال عنه اكتنامه، ويلوح له صباح هو ليله وحلامه.

فمن لا على كل كلمة من قوله تعالى ﴿إِنْ يَرَوْا سُورَةَ الْبُرْجَانِ﴾ ﴿وَيُخَلِّقُوا مَا يَشَاءُونَ﴾ ﴿وَيَقُولُوا بَرَاءً وَحِيدًا﴾ ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنْ أَنْزَالِ اللَّهِ مِنْ السَّمَاءِ وَيَقُولُوا عَلَمًا﴾ ﴿وَيَضْرِبُونَ بَرْجًا﴾ ﴿وَيَقُولُوا هُمُومٌ﴾ (الأنعام ٣٠) ثم تأمل وجه كرمها أي وعنى

والله تعالى ما لك الملك، فهو المتصرف بملكه وأمره.

ومن ظن أنه خلق خلقه عبثاً لم يأمرهم ولم ينههم، فقد طعن في ملكه، وسأله عن قدره، كما قال تعالى ﴿وَمَنْ يَرْؤُوهُمْ مِنْهُمْ قُتُلُوا قُلُوبُهُمْ عَلَى أَنْ يَسْمَعُوا سَمْعَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩] ومن جحد شأه وأمره ونهيه وجعل محض سره لأعداء جهنمه، فقد طعن في ملك الله، ولم يقدره حق قدره، وكذلك قوله الحق يقتضي كماله وأنه وصده وسماه، وروى عنه عن كس من جحد وأتمها، فكما أن ذاته الحق، فقله الحق، ووعد الحق وأمره حق، وأفعاله كلها حق، وحرره المستديم لشريعته ودينه وبنيهم الآخر حق، فمن أنكر شيئاً من ذلك لما وصف الله تعالى بأنه الحق المطلق من كل وجه، وبكل اعتبار، فكفره حقاً بسوء شرعه ودينه وثوابه وعقابه، فكيف يظن بالملك الحق أن يحسن خلقه عبثاً وأن يتركهم سدى، لا يأمرهم ولا ينههم، ولا يشهدهم ولا ينههم، كما قال تعالى ﴿إِنْ يَحْسَبِ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، قال الشافعي: مهملاً لا يؤمر ولا ينهى، وقال غيره: لا يجرى بالحير والشر ولا يثاب ولا يعاقب، والقولان متلازمان، والله تعالى ذكره سب الحراء والثواب والعقاب، وهو الأمر والنهي، والآخر ذكر غاية الأمر والنهي، وهو الثواب والعقاب.

ثم تأمل قوله بعد ذلك ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ سَمْعٌ يَسْمَعُ﴾ [الأنعام: ٣٧]، فمن سم يتركه وهو صفة سدى، بل

هذه لطفه وصرفها، حتى صار له كمال مدته هي وهي خلقه، ثم قلت بعبه حتى صار له كمال مدته هي، حتى خلقها فسدى حتى قدره بتصرفه وحكمه في تلويح كمالها، حتى ينهى كمالها بشرها سويها فكيف يتركه سدى، لا يسوقه إلى غاية كماله الذي خلق به، وقد نزل العادل لصير أحبابه لصفه من صديقه إلى مستهافتة عنى لمعاد ونسب، كما قدمه عنى ثاب عبايع وتوحيد وصعاب كماله، فكما يدل أحوال النطفة من مبدئها إلى عاقبتها على كمال قدرة فاطر الأسان وبأريه، كذلك يدل على كمال حكمته وعلمه وملكه، وأنه الملك الحق المتعالي عن أن يخلقها عبثاً، أو يتركها سدى بعد كمال خلقها.

وتأمل كيف لما زعم أعداؤه الكافرون أنه لم يأمرهم ولم ينههم عن أسه رسده، وأنه لا ينههم بشئ ولا يعاقب، كيف كان هذا لرغم منهم هؤلاء بأن خلقهم سموات والأرض من بصيرة، وكان تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، فمن ظن أعداؤه أنه لم يرسل إليهم رسولاً، ولم يجعل لهم أجلاً للقدرة، كان ذلك ظناً منهم أنه خلقهم باطلاً، ونهى أنى على عباده المتعكرين في محجوفاته، بأنهم أوصلهم فكرهم فيها إلى شهادتهم بأنه تعالى لم يخلقهم باطلاً، وأنهم لما علموا ذلك وشهدوا به، علموا أن حجة سائرهم أمره ونهيه وثوابه وعقابه، فذكروا في دعائهم هدير الأمير، فذكروا ﴿رَبِّ مَا خَلَقْتَ هَذَا سِوَالِ اللَّهِ فَمَا عَدَّتْ الْجَنُّونَ رَبَّهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٣]، بل

الَّذِينَ قَدْ أَحْرَقْتُمْ وَمَا يُطِيعِينَ مِنْ أَهْكَارٍ ﴿١٩١﴾ (آل عمران / ١٩١ - ١٩٢)،
 علموا أن جنود السموات والأرض يسلمون لثواب وعقاب
 ربهم من عباده، ثم ذكر الإيمان الذي أوقعهم عليه فكرهم
 في خلق السموات والأرض، فقالوا ﴿رَبَّنَا سَوَّاهُ مَا بَدَأَ
 إِلَيْنَا أَنْ يَسْأَلَ بَرِّكُمْ فَتَنَّا﴾ (آل عمران / ١٩٣)، فكأنهم فكرهم
 في خلق السموات والأرض الإقرار به تعالى وبوحدانيته وبدينه
 وبرسله وثنائه وعقابه، فتوسلوا إليه بإيمانهم الذي هو من أعظم
 فضله عندهم، إلى معرفة دنوبهم وتكفير سيئاتهم وإدخالهم مع
 الأبرار إلى جنته التي وعدوها، وذلك تمام نعمته عليهم، فتوسلوا
 بإسماعه عليهم أولاً إلى إنعامه عليهم آخرًا، وذلك وسيلة بطاعته
 إلى كرامته، وهي إحدى الوسائل إليه، وهي توسل أبي أمرهم
 فيها في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى أَنْ تُبْلِغُوا
 (المائدة / ٢٥)، وأخبر عن خاصة عيادته أنهم يستعينون بالوسيلة إليه، إذ
 يقول تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَدْعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ أَوَّلَ حِينٍ﴾
 ﴿الزمر / ٥٧﴾ (الزمر / ٥٧)

على أن في هذين الآيتين أمرًا بديعة ذكرتها في كتاب
 «التحفة السنية» في شأن الأمة الإبراهيمية، فأمر لهم فكرهم
 الصحيح في خلق السموات والأرض أنه لم يخلقها عبثًا باطلاً،
 وأمر لهم الإيمان بالله ورسوله ودينه وشرعه وثنائه وعقابه،
 والتوسل إليه بطاعته والإيمان به.

وهذا الذي ذكرناه في هذا الفصل قطرة من بحر لا ساحل له،

فلا تستطعه، فإنه كثر من كثرة العلم لا يلائم كل نفس، ولا يقبله
 كل محروم، والله يخص برحمته من يشاء.

انتهى كلامه رحمه الله، وهو كما ذكره في غاية النعمة،
 ويوضح هذا البحث توصفًا تامًا، وإذا ثبت أن تعرف تفاصيل
 أحكامه في شرع واعتبر لمئات مسائل ما، فثبت تحدها في
 غاية الأحكام والإتقان، وفي أعلى درجات الحكمة والمصلحة،
 ولهذا كان الفقهاء والمتكلمون على الأحكام الشرعية يعملونها
 بالمصالح والحكم والمناسبات، فلو كان الأمر والهي واستحل
 والتحرير غير تابع للحكمة لم يكن فائدة في تعديل الأحكام
 والإصلاح بها عليها ومن أراد توسع في شأن حكمة الله في
 شرعه وقدره إجمالاً وتفصيلاً وتأصيلاً، فعليه بكتاب «مباح دار
 السعادة» للمصنف رحمه الله، فإنه يسطر الكلام فيه بسطاً شافياً،
 وفيما بهنا عليه من ذلك كفاية والله أعلم.

فصل

وهو الحي ليس بفصح عبده عند التجاهر به بانهضيان
 لكنه يلقي عليه ستره فهو الستر وصاحب المعراج
 هذا مأخوذ من الحديث الذي رواه الترمذي^(١) عن النبي ﷺ
 أنه قال: «إن الله حيي ستر يستحي من عبده إذا مضى يديه أن يردعهما

(١) عن سلمان العنسي

صهراً. وهذا من رحمة وكرمه وكماله أن العبد يجاهره بالعصيان، وهو الفقير إلى ربه غية الافتقار، حتى أنه لا يمكنه أن يفعل معصية الله إلا بالتقوى عليها بنعم ربه، فيستحي ربه الكريم الرؤوف الرحيم من هتكه وفصيحته وإحلال العقوبة عليه، فيشره بما يقبض له من أساب الشر ما لا يحظر على البالد، ويعموه به، ويعقر له ذرية، فهو يحجب إلى عباده بالنعم وهم يتعضون إليه بالمعاصي، خيرة إليهم نازل بعدد المحطات، وشرهم إليه صاعداً ولا يزال المندك الكريم يصعد إليه منهم بعمل فيج، ويستحي تبارك وتعالى ممن شاب في الإسلام أن يعذبه، وممن يمد إليه يديه أن يردعها عن غير شيء، بل يدعو العباد إلى دعائه، ويعدهم بالإجابة، وهو الحيي استيره يحب أهل الحياة والشر، ومن ستر مسلماً ستر الله عليه في الدنيا والآخرة. ولهذا يكره من عبده إذا فعل معصية أن يذيعها، بل يتوب إليه فيما بينه وبينه، ولا يظهرها للناس، وإن من أحب الناس إليه من ذاب عاصياً والله يسره، فيصبح يكشف ستر الله عنه، وما نعدلى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ آفَاتُهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ عِندَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُقَالُوا إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ لَكُمْ طَاهِرًا﴾ (الب. ١٩) وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ مِثْلَ الْقَامَةِ، فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَنِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْ أَغْمَرَهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَهُ بِحَبِيبِهِ»

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر

ومن العجب أن الكريم يستحي من فضيحة عبده، والظالم الجاهل لا يستحي من ربه، بل لا يزال ذنباً في معصيته، متبعاً لسلطه، يدهوه ربه إلى يابه فيشرد عنه، ويدعوه عدوه إلى ولايته فيلبس دعوته، قد أقبل على عدوه الذي يشقى بطاعته في دنياه وآخرته، وتولى عن وليه الذي كل السعادة في الإقبال عليه والاشتغال بخدمته، كل الأراجيح في معامته، ﴿أَفَسِحْرُكُمْ وَذُرِّيَّتُكُمْ أَقْرَبُكُمْ مِنْ دُونِ وَهْمٍ لَكُمْ عَذَابُ النَّارِ﴾ (الكهف/ ٥٠). وما كان ترك الحق وترك بيانه على أي حال كان، لا يكون من الحياء المحمود، أحبب تعالى أنه لا يستحي من الحق، فقال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ شَيْئًا﴾ (الأحراب/ ٥٣). وقال: ﴿لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّنْ لَا يَدْرِي لِمَا يَدْعُوا بِهِمْ وَيَقُولُ سَوَاءٌ عَلَيْنَا دُعَاؤُكُمْ إِنَّنَا إِلَى اللَّهِ وَنَحْنُ إِلَيْهِ﴾ (الب. ٢٦). ودلت لأن بيانه الحق لعباده بأي طريق كان، من أجل نعمه عليهم.

وهو الحليم فلا يعاجل عبده بمقوبة لثوب من عصيان وهو العفو فعفوه وسع الورى لولاه ضار الأرض بالمكان يعني أنه تعالى الحليم الذي له الجسم الكامل، العفو الذي له العفو الشامل. ويتعلق هذين الوصفين الكريمين معصية العاصين وذنوب المجرمين، فإن الذنوب في الأصل تقتضي ترتيب آثارها عليها من العقوبات العاجلة، فحلمه تعالى يقتضي إمهال العاصين وعدم معاجلتهم بالعقوبة، ليتوبوا من غصبياتهم. وعفوه تعالى يقتضي معمره ما صدر منهم من الذنوب، خصوصاً إذا أتوا بأسباب العفو من الاستغفار والتوبة النصوح، فإن حلمه وعفوه وسعاً أهل

اسمرات والأرض، فبولا حلقه وعموه بعرب لأرض سكناها،
 من يعسى ﴿ وَلَوْ يَرَىٰ اِنَّهُ لَمَّا سَ يَطْمَعُ مَّا رَكَ عَنَّا مَرَّكَ وَلَكِنْ نُّوحِرُهُمْ
 اِنَّكَ لَبِئْسَ مُسْتَمِرٌّ ﴾ السجدة ١٦، وقال يعسى ﴿ اِنَّ اِلَهَ تَبَسُّكُ
 اَسْمَوَاتٍ وَّالْاَرْضِ اَنْ تَرَوْا وَيَنْزِلُ رُسُلُنَا اِنَّ اَمْسِكُكُمْ مِنْ اَحْمَرِ مِّنْ سَوِيٍّ اِنَّكُمْ كَانُ
 حَيِّمًا عَفْوًا ﴾ [فاطر / ٤١]

وهو تعالى عفو يحب العفو ويحب من عاده أن يجتهدوا
 في تحصيل أسباب عفو، من السعي في مرضاته على الدوام،
 والعفو عن ذلات العباد، قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ
 يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فبم أدهو؟ قال: قولي: اللهم
 إني عفو تحب العفو فاعف عني، رواه مسلم. فمن سامع عبد الله
 سامحه الله، ومن عفا عنهم عفا الله عنه.

ومن كفاه تعالى أن عفو مفرور بالقدرة، يعفو عن قدره،
 لا كمن يعفو بحجره عن الانتقام، ولهذا جمع الله سبحانه في قوله
 ﴿ فَإِنَّ اِلَهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾ [سجدة / ١٤٩]

ومن تمام حلقه وعموه أن المجرم الذي أفسى عمره بالكفر به
 وبوسله ويتكديبه، وتكديب رسله، والسعي في محاربه ومخاربه
 أوبته، ولحرص على عده بحق يظهر ساهل، أنه إذا تاب
 توبة بصوحاً، ورجع إليه دائماً على جرمة، فبم يعفو عنه في مساعه
 وحده جمع ما تقدم من المعاصي والإجرام ﴿ فَمَنْ يَلْتَبِئْ كُفْرًا
 اِنْ يَتَّبِعُوا اَمْرَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنعام / ٣٨] وقال تعالى لما ذكر
 أصحاب الأندلس الذين حرقوا أوليائه المؤمنين بالدر، يدعوه

بي اسنوه ﴿ اِنَّ اِلَهَ فَسَا اَقْوَمِينَ وَاَقْوَمَتْ ثُمَّ لَمْ يَرَوْا اِلَهَهُمْ عَذَابُ حَتْمٍ
 وَلَهُمْ عَذَابُ اَلْحَرِيقِ ﴾ [سجدة / ١٦] وقال سي ﴿ اَلْاِسْلَامُ بِحُبِّ
 مَا قَبِلَهُ، وَاَلنُّبُوَّةُ نَحْبُ مَا قَبِلَهَا ﴾

وهو الصبور على أدى أعدائه شتموه بل نسبوه للبهتان
 فالبوا له ولد وليس بميدنا شتما وتكليفنا من الإنسان
 هذا وذلك بسمعه وبعلمه لو شاء عاجبهم بكل هوان
 بكن بعابهم وبرزقهم وهم يؤذونه بالشرك والكفران

وهذه الآيات مأخوذة من قوله ﷺ في الحديث الثابت
 الصحيح: ولا أحد أصبر على أدى سمعه من الله، يجعلون له الولد
 وهو يعاديه ويرزقهم*^(١) وما تب عنه ﷺ في الصحيحين مر
 حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «قال الله تعالى: كذبني
 بن آدم ولم يكن به ذلك، ونسيتي بن آدم ولم يكن به ذلك، وأما
 تكديبه إياي فقله لن يعيدني كما بداني، ولن أول الخلق بأهون
 علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقله إن لي ولذا، وأنا لأحد
 الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد».
 ولهذا قال المصنف: وهو الصبور على أدى أعدائه، شتموه أي

(١) رواه أحمد في مسنده ١٩٩/٤، ٢٠٤، ٢٠٥ عن عمرو بن العاص،
 وليس عنه إلا القسم الأول
 (٢) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري

مبوه سباً لا يبيق بجلاله، ونسوة للبهتان الذي سره عنه، فاشتم
هو السب بقولهم: له ولد، فإن هذا منافق لوحيدته وعده، وإن
مات سموت، لا، من، كما قال تعالى ﴿فَلْيُؤْذِكُمُ اللَّهُ وَلَهُ
شُبُهَاتٌ﴾ [يونس/ ٦٨] عن هذه النسبة الباطلة التي لا تصدر إلا
من أعظم حصيل، ثم ذكر ما يدفع ذلك من ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْغَنِيُّ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨]، ثم ذكر مصداق هذا القول
لدى قابوه، وأبهم مقبول، وسكنون ملا علم، وهذا من أعظم
المحرمات، فقال: ﴿إِن يَعْذِبْكُمُ اللَّهُ فَخِطَابٌ لِّهِ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
أَدْنَىٰ حُجَّةَ هَذَا بَشَرًا لَّيْسَ فِيهِ مَن يَشْفِي عَنِّي﴾ [يونس/ ٦٨]، ثم ذكر أنه أقر به، فقال: ﴿قُلْ يَكُفِّرُ بَعَثُوا عَلَى
اللَّهِ تَكْدِيبَ لَا يَنْفَعُكُمْ فِيهِ مَن كَانَ مِن شَيْءٍ مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس/ ٦٩]، وقال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ إِلَّا نَعْتِ بَشَرٍ مِّثْلُكُمْ أَفَتَذْكُرُونَ لَّهُ مَا لَا يَنفَعُكُمْ فِيهِ﴾ [يونس/ ١٦]، وسببه بلهث هو تكديسه بقول يسكرين لبعث ليس
يعدس، وهذا تكذيب له ولرسوله، قال تعالى: ﴿أَعْمَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن
نُعْزِلَهُنَّ لَنَلْحِقَنَّ لَكُمْ بِهِمْ عَلِيمٌ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [السجدة/ ١٧]،
وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَذَقُّ الْحَرَامَ ثُمَّ يُبَدِّلُهُ حَلَالًا وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة/ ٢١٩]، فلم يبال المعتادون بقول الله، بل كذبوه ﴿وَقَالُوا لَوْ
كَانَ عِظْمًا مِنَّا وَرَقًا أُوتِينَا سَمْعًا وَبَصَرًا وَفُتُونًا أَفَنَعِيبُهُمْ﴾ [الأنعام/ ١٠٨]، أي لا يكون
ذلك يزعمهم، فإنهم من جهلهم فاسوا قدرة العظيم بقدرة العبد
الضعيف، ولم يفقهوا قوله تعالى مجزئاً عن عظمتهم وكمال أقداره
﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَحْيِيكُمْ وَلَا تَحْكُمُكُمْ أَفَتُحْكُمُونَ عَلَى اللَّهِ﴾ [البقرة/ ٢٨]، ﴿لَخَلْقُ

الْكَافِرِينَ وَالْكَافِرِينَ أَكْثَرُ مِمَّنْ آمَنُوا﴾ [البقرة/ ٢٨]،

فقول المؤلف «اشتقا» عائد إلى نسبة الولد له، وقوله «تكذب»
عائد لانكارهم البعث، ثم قال: هذا وذاك أي نسبة الولد والتكذيب
بالبعث بسمة تعالى، يسمع ما به يظفون، ويعلم ما يرون وما
يعلمون، والحال أنه لو شاء لعاجلهم بكل هوان، أي بكل حقبة
تستأصلهم، لكمال قدرته، وعدم امتناعهم عن تنفيذ إرادته فيهم،
ومع هذا يعاصيهم ويردقهم، فيدركهم الأرواق، ويعلم عنهم بسهم،
وهم يؤذونه بالشرك والكفران، فهل مثل هذا الصبر شيء، فإنه صبر
متضمن لإحسانه وقدرته، فإن الصبر قد يوجهه عدم قدرة الصابر على
مقابلة المؤذي، وقد يصبر على الأذى ولا يحس إلى من أساء إليه،
وأما الله تعالى فهو بصور على الحقيقة، يؤذيه بعد الضعيف بما حذر
بمعاداته ومعادة رسله، ومخاربة أوليائه، والسعي في إطفاء ديبته،
وباصيته بيد الله، وهو المحتصرف فيه في حركاته ومكثاته، ومع ذلك
يمهده، ويستدعيه إلى التوبة، ويحثه على الإجابة ويذكر عليه لأرواق
الواسعة، فتبارك الرب الرحيم الذي ليس كمثله شيء، وهو السميع
البصير، الصابر الذي يحب الصابرين، ويعيهم في جميع أمورهم.

فصل

وهو الرقيب على الحوائط والنوا حظ كيف بالأفعال بالاركان

«الرقيب» والشهيد مترادفان، وكلاهما يدل على إحاطة سمع
الله بجميع المسحوعات، وبصره بجميع المنصبرات، وعلمه بجميع

المعلومات الجلية والحفية، ولهذا قال المصنف: وهو الرقيب على
الخواطر، أي يعلم ما يخطر في انقلوب من الأفكار والوسوس التي
لم يسكن بها العبد، وعلى الواحده بالأبصار سواحد الحية والجبهه،
وود كد رقيباً على الخواطر والملاحظات فكيف لا يكون رقيباً على ما هو
أظهر منها من الأفعال بالأركان والحركات قال تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۝﴾ [الحج ٥٢]، وقال تعالى ﴿وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ۝﴾ [المعاني ٦٦]، وقال تعالى ﴿وَلَهُ سَعْدُ الْعَرْشِ وَغَرَضُهَا
تُرْسُوسٌ يَوْمَئِذٍ وَمَنْ أَزَلُّ إِلَهِمْ مِنْ آلِهِمْ ۝﴾ [١٠٠] .

ولهذا كانت المراقبة هي التعبد لله باسمه «الرقيب»، فإذا علم
العبد أن حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر
العبد لهذا العلم في جميع أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنه
عن كل فكر وهاجس يخضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو
فعل يسيئ به الله، وتعبد بمقام الإحسان، فعبد الله كأنه يراه، فإن
لم يكن يراه فإنه يراه قال تعالى منها على هذا المعنى: ﴿وَتَوَكَّلْ
عَلَىٰ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الَّذِي يَمُنُّكَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَئِذٍ وَكَانَ فِي الشَّيْءِ ۝ إِنَّهُ هُوَ
أَشْبَعُ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [الشعراء ٢١٧-٢٢٠]، وقال الشاعر

كان رقيباً مني يرهى خواطري	وأخر يرهى ناظري ولساني
عما خطرت في القلب مني خطرة	لغيرك إلا عرجاً بجناني
ولا نظرت عيني لغيرك نظرة	من الخلق إلا قلت قد رمتاني
ولا بددت من في بعدك لظة	لغيرك إلا قلت قد سمعاني

ثم قال المصنف:

وهو المحيط عليهم وهو الكفيل حل يحفظهم من كل أمر عاين

ذكر رحمه الله للمحيط معنيين

أحدهما أنه المحيط عليهم جميع ما عملوه من خير وشر
وطاعة ومعصية، فإن علمه تعالى محيط بجميع أعمالهم ظاهرها
وباطنها، وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، ومع ذلك فقد وكل
بالعباد ملائكة كراماً كتبيين، يعلمون ما تفعلون، قال تعالى: ﴿يَوْمَ
تَعْلَمُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا قَبِضَتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَلْهَمَهُ اللَّهُ وَضُوءًا ۝﴾ [المائدة ٦١]،
وقال تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ إِلَيْنَا شَيْئًا ۝﴾ [يس ١١٢]، وقال
تعالى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ
ذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ۝﴾ [الحج ٧٠]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْذِرُ الْبَاقِيَ
لِلَّذِي رَقِيبٌ عَلَيْهِ ۝﴾ [لق ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحِيطُ بِحُجُوبِ
كَرَامًا كَثِيرِينَ ۝ يَتْلُونَ مَا تُفَعِّلُونَ ۝﴾ [الأنعام ١٠-١٢] .

فهذا المعنى من حفظه تعالى على عبده متضمن لإحاطة علم
الله تعالى بأحوال عبده الظاهرة والباطنة والأقوال والأفعال،
وكتابتها باللوح المحفوظ وفي الصحف التي بأيدي الملائكة،
وعنه تعالى سقائدها وكمالاتها ونعشها ومقادير جرائها في الثواب
والعقاب، ثم مجاراته عليها بعدله وفضله .

والمعنى الثاني من معنى المحيط أنه تعالى الحافظ لعباده من
جميع ما يكرهون، ولهذا قال المصنف وهو الكفيل يحفظهم من

والسوع الثاني حفصه بحاص لأولاده وعنده المؤمنين، سوى ما تقدم، بحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيمانهم، من أنواع النجس والفس، وشبهه لتي يحذف معها على الإيمان، فيدفعهم الله

وهو اللطيف بعيداً ولمسه واللفظ في أوصافه نوحاً
إمراك أسرار الأمور بتجربة واللفظ عند مواقع الإحسان
فيسبك عزته ويسلي لطفه والمبد في المصلاية عن ذا الشأن
يعني أن اللطيف هو اللطيف بعيداً في أمور المتعلقة بنفسه
وهو نصف بعيد، في يصف به في أمور الحجة عنه، فهو

90

إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر، ولهذا كان المظهر في أوصاف
الله تعالى على قسمين

أحدهما خبرته تعالى وذكائه لأسرار الأمور وخبايا الصدور
ومفاتيح الأمور، وما لطف ودق من كل شيء، وهذا النوع يرجع
إلى إحاطة علمه بالمعلومات، إلا أنه لعلم الحاصل في الأمور
الجميع، ويعلم منه علمه بجزئيات الأمور، ومن ذلك لما ذكر تعالى
تعلق علمه بما في باطن الأرض من خبايا البذور واستخراجها
من باطن الأرض بما ينزل عليها من السماء وحبرته بشدة حاجة
عنده إلى ذلك، ذكر هذا الاسم بكرمه فقال ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا اللَّهُ
أَرْسَلْتُكَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مُصْبِحَ الْأَرْضِ مُخَصَّرَةً بِكَ اللَّهُ لِيُفِيَّتْ حَبْرًا ۚ﴾
[الحج/ ٦٣]، فهو الذي يعلم السر وأخفى، ويعلم ما في السموات
والأرض، ويخرج الحبء في السموات والأرض، ﴿وَمَا تَقْطُرُ مِنَ
وَرَقَةٍ إِلَّا يَأْتِيهَا وَلَا خَشْوَةَ الْأَرْضِ وَلَا رُكْبَةٍ وَلَا يَمِيزُ وَلَا يَكْتَبُ
مُحِبُّوهُ ۚ﴾ [الأنعام/ ٥٩]، ﴿يَعْلَمُ خَائِبَةً الْعَيْنِ وَمَا تُخْفِي ظُهُورُهُ ۚ﴾
[عامر/ ١٩].

والنوع الثاني لطفه بعبده ووليّه الذي يريد أن يتم عليه إحسانه،
ويشمله بكرمه، ويرقيه إلى المنازل العالية، فييسره لليسرى،
ويجتنبه للعسرى، ويمتحنه بأنواع المحن التي تشق عليه ويكرهها،
وهي عين صلاحه، والطريق إلى سعادته، كما امتحن أنبياءه بأذى
قومهم، وبالجهاد في سببه، ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْشَرَ الْرُسُلُ وَطَعُوا أَنفُسَهُمْ قَدْ
صَكَّرْنَا بِكَاهُكُمْ قَصْرَنَا﴾ [يوسف/ ١١٠]، وكما ذكر الله عن يوسف

عليه السلام بعد ما حصلت له المحن بإخوته، ثم بالفرق، ثم
بمراودة امرأة العزيز، ثم بالسجن الطويل، ثم جعل الله ذلك كله
طريقاً إلى عباده ورفاعه ومملكه، وخصوع أبيه وإخوته له، ولهذا
قال في آخر قصته: ﴿وَقَالَ يَتْلُوَنَّ هَذَا آيَاتِ رَبِّكَ مِنْ فَتْرَةٍ جَعَلْنَا رُبِّي
حَدًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِنَايَ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ بَدْدٍ مِّنْ بَدْدٍ لَّيْسَ
بِشَيْءٍ تَنبِيٍّ وَفِي خَوْبِ رُبِّي طَيْفٌ بِفِتْنَةٍ هَذِهِ هِيَ كَيْدُ الْغَيْبِ الْخَبِيرِ ۚ﴾
يوسف

وكثير ما يحسن الدعاء بذكره، يسبهم ما يحسن،
ولهذا قال المصنف، فيريد عزته، أي في سبحانه بين بكره،
ويبدي لطفه والعباد في المعاملات عن ذا الشأن، فلو اطلع على
الغيب لفرح بكثير من الأمور التي تجري عليه بخلاف ما يهوى،
وكم لله من لطفه بكرم لا تدركه الأعين، ولا تتصوره الأوهام،
وكم استشرق العبد لمطوب من مطالب الدباء من إمارة أو ولاية
أو سبب من الأسباب الدبوية، بصفه الله عنه رحمة به، لئلا
يصد عليه ديه، فيظل العبد حزيناً من جهله وعدم معرفته بربه
وفي الدعاء المأثور: اللهم ما رزقني مما أحب فاجعله قوة لي
فيما تحب، وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما
تحب، اللهم الطف بنا في قضاءك، وبارك ما في قدرك، حتى لا
يحب تعجل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت^(١)

(١) رواه الثرمذي عن عبدالله بن يزيد الحطمي، وقال: حديث حسن
حريص

فصل

وهو الرقيق يحب أهل الرفق بل يعطيهم في الرفق فوق أماني
وهذا قد أخذ المؤلف رحمه الله من قول النبي ﷺ لعائشة
بعد ما سمعت اليهودي يدي في سي ﷺ م عليك يا محمد،
وأحبه السي ﷺ قوله «وعسكم» فصب عاتقه يهودي
فقال «عليكم السام واللعنة» فقال النبي ﷺ «مهلاً ب عاتقه
من الله رقيق يحب أهل الرفق» الحديث «قال ابن الله يعطي
على الرفق مالا يعطي على العنف»^(١).

ما لله تعالى رقيق في أماله، خلق السموات والأرض في ستة
أيام مع قدرته على خلقها في لحظة واحدة، وكذلك آدمي
والحيوانات وأروع الأشجار وسائر جماعتها يعاش بسدريج شب
وتنبأ، حتى تتم وتكبر، وهذا من رفقته وحكمته التي فيها من
الفوائد والمنافع ما لا يدخل تحت الحصر. وإذا كان رقيقاً فهو
يحب أهل الرفق، ويعطيهم من فضله وإحسانه مالا يعطي غيرهم،
وبهذا ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا
شانه. فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة ووقار اتباعاً لسنة
الله في الكون، تيسر له الأمور خصوصاً الذي يأمر الناس
وبهاهم في مصالح دينهم ودنياهم، فإنه محتاج بل مضطر إلى

(١) رواه البخاري عن عائشة

(٢) رواه مسلم عن عائشة

الرفق واللين، من تعالى سببه ﷺ ﴿يَمَّا رَحِمُوا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ دَلُّوا
كُنْتُ فَطَّاءً عَيْطَ الْقَلْبِ لَأَنْفَعُوا مِنْ حَرْبِكَ﴾ أن عبد ١٥٩

وكذلك من آذاه الناس بالأقوال البشعة، فصان لسانه عن
مشائعتهم، ورفع عن نفسه برفق ولين، اندفع عنه من أذاهم بسبب
ذلك مالا يدفع عن قابلهم وصنع كصنيعهم، مع راحته وطمأنينة
قلبه واكتسابه للرزقة والحلم، وتزججه عن سفسمة الأقوال، ولهذا
بما كان اليهود يريدون بحط بهم للنبي ﷺ يقولهم السلام عليكم
يريدون الموت، من كمال حذمه ﷺ لم يشتبههم بل قال: وعليكم
أي ما قلتم، ولهذا كان لعائشة ألم تسمعي ما قلت لهم، فبين
عليه لصلاء وسلام أن لمقصة قد حصل من دون كلام مستشع
ولا فور عبط. وقال سفيان الثوري رحمه الله: ينبغي للأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر أن يكون عالماً بما يأمر به، عاتق بما ينهى
عنه، عدلاً فيما يأمر به، عدلاً فيما ينهى عنه، رقيقاً فيما يأمر به،
رقيقاً فيما ينهى عنه، فالرفق يدرك به خير كثير، وبشيب الله عليه
ثواب جريلاً، والعنف بخلاف ذلك

وهو القريب وقربه المختص بالـ سادسي وعابله على الإيمان
يعني أن القريب من أسمائه تعالى قسمان: قرب عام، وقرب
خاص.

فالقرب العام إحاطة علمه بجميع الأشياء، وهو أقرب إلى الإنسان
من حل الوريد، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ وَلَا يَشْفِي لَهُمْ إِلَّا

فَوَسَّوْهُمْ وَلَا أَتَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَهْمُورٌ مَا كَانُوا ﴿ [المجادلة / ٧] .

والنوع الثاني قربه المحتص بالداصين والعابدين والمحبين، وهو قرب يقضي لمحبة ونصرة والتأييد والإحابة والقول والإجابة، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَأَسْمِدُ وَأَقْرَبُ ﴾ [الحج / ٢٩] ، وقال لبي ﴿ اقرب ما يكون لعد من ربه وهو ساحد ﴾ . فهذا قربه من عابديه . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذْ دَعَانِ ﴾ [البقرة / ١٨٦] . فهذا قربه من داعيه بالإجابة والتوثيق .

وللمصنف ههنا كلام حسن ذكره في ابتداع الفوائد، فلنذكره لشدة الحاجة إليه، وعدم إجراء غيره عنه، قال ^(١) في أثناء كلامه على قومه يعني ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [يس / ٦٥] . إن دَحَمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنْ الْمُتَحَيِّينَ ﴿ [الأعراف / ٥٥ - ٥٦] . وسادسها وهو من سكب لسيرة سديعه حذاء أنه دال على قرب صاحبه من الله، وأنه لا اقترابه منه وشدة حضوره يسأل مسألة أقرب شيء إليه، فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب لا مسألة نداء البعيد للبعيد، ولهذا أتى سبحانه على عبده زكريا في قوله : ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَّاهُ مَبْعُوثَا ﴾ [مريم / ١٢] ، فكلمنا متحضر لقلب قرب الله تعالى منه، وأنه أقرب إليه من كل قريب، وتصور ذلك أخفى

دعاه مهما أمكنه، ولم يأت له رفع الصوت به، بل يراه غير مستحسن، كما أن من خاطب جلتا له يسمع أخفى كلامه، فإنه لو بالغ في رفع الصوت استهجن ذلك منه، والله المثل الأعلى سبحانه

وقد أشار إليه النبي ﷺ إلى هذا المعنى بقوله في الحديث الصحيح لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر، فقال : « اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غافا، إنكم تدعون سمعا قريبا . اقرب إلى أحدكم من عنق راحته » . وقد قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذْ دَعَانِ ﴾ [البقرة / ١٨٦] ، وقد جاء أنه سب بره لها أن لصحابه دعوا برسول الله، وسأ قريب فساخه، أم بعد فاديه ؟ فأمر الله عز وجل ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذْ دَعَانِ ﴾ [البقرة / ١٨٦] ، وهم يدين على إرشادهم للمسحاة في الدعاء، لا للدعاء الذي هو رفع الصوت، فبهم سألوه فأجيبوا بأن ربهم تبارك وتعالى قريب، لا يحتاج في دعائه وسؤاله إلى الدعاء، وإنما يسأله مسألة القريب المحتاج، لا مسألة العبد المسدي .

وهذا القرب من الداعي هو قرب خاص، ليس قرنا عامًا من كل أحد، فهو قريب من داعيه، وقرب من عابده، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو مناجد، وهو أخص من قرب الإجابة

(١) رواد مسلم عن أبي هريرة.

(٢) ج ٣ ص ٧

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري

وقرب الإجابة الذي لم يشك أكثر المتكلمين سوءه، بل هو قرب خاص من الداعي والعايد، كما قال النبي ﷺ رواية عن ربه تبارك وتعالى. «من تقرب مني شبراً تقربت منه فراسخاً، ومن تقرب مني فراسخاً تقربت منه بأماناً»^(١). فهذا قرب من عايد، وأم قرب من دعيه «سائبه فكما دل تعالى ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾»^(٢) وقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف/ ٥٥] فيه الإشارة والإعلام بهذا قرب وأم قرب تبارك وتعالى من محبه نوع آخر وبأ آخر وشأن آخر، قد ذكرناه في كتاب «التحفة المكية» على أن العبارة تنبؤ عنه، ولا يحصل في القلب حقيقة معده، لكن بحسب قوة المحبة وضعها يكون تصديق العبد بهذا القرب، ويؤكد ثم إياك أن تصر عنه بغير عبارة لسوية، أو يقع في قلبك غير معناها ومرادها، ورسول قدم بعد نبوته.

وقد ضعف تميز خلاقي في هذا المقام، وساء تعبيرهم، مرفعو في أنواع من بطئات وشطط، فحاسبهم من عبط حجبته، فأنكر محبة العبد لربه جملة وقربه منه، وأعاد ذلك إلى مجرد الثواب المخلوق، فهو عنده المحبوب القريب ليس إلّا. وقد ذكرنا من طرق الرد على هؤلاء وهؤلاء في كتاب «التحفة» أكثر من مائة طريق. انتهى كلامه رحمه الله

(١) صحق عليه من حديث أبي هريرة

وهو المحيب يقول من يدعو أجب به أنا المحيب لكل من ناداني وهو المحيب لدعوة المضطر إذ يدعو في سر وفي إعلان جعل المؤلف للمحيب معين معنى عام، ومعنى خاص.

فالعام هو إجابته بمعنى لكن من دعاء دعاء عبادة ودعاء عبادة، كما دل تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [١٠١] فدعاء المسألة أن يقول بلسانه: اللهم أعطني كذا، أو اللهم ادع عني كذا، فهذا يقع من البر والعاجر، ويستجيب الله فيه للبر والعاجر، فقد يدعو الكافر يحصل رزق أو دفع عذو أو خروج من مشقة، فيستجيب الله له، ولا أعظم كفراً من ريبس، وقد سأل الله المضطر، فأبظره الله إلى يوم يعثون، ولهذا يستدل بهذا النوع على كرم الباري وسعة جوده وحسنه

ولا يدل مجرد لإجابة على حسن حال الداعي الذي أجبت دعوته، حتى يأتي ما يدل على ذلك، فإن افترى بذلك ما يدل على تعيين الحق معه كسؤال الأنبياء ودعائهم لقومهم وعلى قومهم، دل ذلك على صدق من أجاب الله دعاءه، ولهذا كان النبي ﷺ كثيراً ما يدعو بدعاء يرى الناس عياناً إجابته، فيجعلونه من دلائل النبوة وآيات صدقه ﷺ، وكذلك ما يذكرونه عن كثير من أولياء الله من إجابة دعواتهم، يجعلونه من كرامات الله لأوليائه

وأم الإجابة الخاصة فلها أسباب عديدة، ومن أعظمها: دعوته المضطر الذي وقع في شدة وكربة عظيمة، فإن الله تعالى يجيب

سألي لأعطيته، ولنر استعدي لأعده، وما ترددت عن شيء أما
فأعده ترددي عن قبض نفسي على المؤمن يكره الموت وأكره
مساخته. رواء البخاري^(١)

والعقصور أن معنى الودود أنه المحبوب المودود، أعظم
مودة وأصفاه وأحبها من عبادته المؤمنين، الوداد لعباده القائمين
بمحابه ومراضيه، وله الفضل والمنة في ذلك كله.

وهو الشكور فلن يضيع سعيهم لكن يضاعفه بلا حبيان
ما للعباد عليه حق واجب هو أوجب الأجر العظيم الشان
كلا ولا عمل لديه ضائع إن كان بالإخلاص والإحسان
إن عُدُّوا فبِعَلِّهِ أو تمموا فبِعَلِّهِ والحمد لله للمنان

قال تعالى ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ
اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [الباء ٤٧]، وقال تعالى ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ
عَلِيمٌ ﴾ [التعاين/ ١٧]. فمن أسعاه تعالى الشاكر الشكور،
الذي لا يضيع سعي عبدين لوجهه، ولا يتركه باطلاً، بل يضاعفه
أضعاف مضاعفة بلا عد ولا حاس، كما قال تعالى ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ
أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف ٢]، وقال تعالى ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ
أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [توبه ١٢]، وقال تعالى ﴿ مَن جَاءَهُ
بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام ١٦]، وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا

(١) عن أبي هريرة

يُظْلِمُ بِنُفْقَانِ دَرَّةً وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ بِرَ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الباء ٤٤]، وقال تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُبْعَثُونَ أَمْوَالُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَلْبَنَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُلتَةٍ مِائَةُ حَبٍّ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [بقره ٢٦]، وقال تعالى ﴿ مَن جَاءَهُ بِالْحَسَنَةِ
فَهُوَ مِنهَا زَكَاةً مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ لِيُزِيدَهُ كَثْرًا مِّنْ فَضْلِهِ وَأَن يَأْتِيَ بِكَ
بِالْحَسَنَةِ فَهُوَ أَتْيَبٌ وَأَن يَأْتِيَ بِكَ بِالسَّيِّئَةِ فَهُوَ رِثَاةٌ
كَكَبُورَةٍ ﴾ [الباء ٩٤]، وقال تعالى ﴿ فَمَنْ يَفْعَلْ
بِشَعْلٍ دَرَّةً وَحَبِيرًا كَبُورًا ﴾ [الزمر ١٧]

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ
وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ لِمَن هُمُ بِحَسَنَةٍ قَلِمٌ يَعْمَلُ كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ
حَسَنَةٌ كَامِلَةٌ فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ
صَعَفَ إِلَى أَصْعَافٍ كَثْرَةٍ» وقال ﷺ «مَن تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ تَمْرَةٍ مِنْ
كَبِ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِعَيْنِهِ فَيَرْبِيهَا
لأَحَدِكُمْ كَمَا يَرْبِي أَحَدَكُمْ فَلَوْهَ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ بَحْلِ الْعَظِيمِ»
معنى عبه^(١)

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على سعة فضل الله، وأنه
الشاكر لسعي العاملين، الذي لا يضيع عمل عامل، ويعينه به
يتحمل المتحملون من أجده. ومن قبل لأجله أعطاه فوق المريد،
ومن ترك لأجله عوضه الله خيرا من ذلك، وهو الذي وفق عبده

(١) من حديث عبدالله بن عباس

المؤمنين لمرضاته، ثم شكرهم على ذلك، وأعطاهم من كراماته ما لا عين رأت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وكل هذا ليس حقاً واجباً عليه بالأصل، وإنما هو النبي أوجبه على نفسه، ولهذا قال المصنف: ما للعباد عليه حق واجب، هو أوجب الأجر العظيم الشأن. وهذا القيد الذي قيده به المصنف أحسن من إطلاق من أطلق ذلك بقوله.

ما للعباد عليه حق واجب كلاً ولا سمي لديه صانع

وذكرت بمبدأ المصنف للسمي الذي لا يضيعه الله بقوله: إن كان بالإخلاص والإحسان، أي مقصوداً به وجه الله، محبته فيه على سنة رسول الله، لأن العمل لا يكون صالحاً حتى يوجد فيه هذان الشرطان الإخلاص والمتابعة، كما قال في موضع آخر

فقيام ديس الله بالإخلاص والإحسان إيمانه أصلان

وقول المؤلف: إن عذبوا فيعذبه، لأنه لا يعذبهم إلا بدويهم التي اجتروها، بعدما قامت عليهم حجة الله، وحذرهم الله منها غية التحذير، فإذا استمروا على الضميمة بعد ذلك، ولم يقبلوا نصائح الناصحين، علم أنهم لا يصلحون إلا للعذاب، فعمل فيهم حيث عذبهم، لأنه لم يضع العقوبة إلا في موضعها. وأما إنعامه وإكرامه من ذلك محض فضله ورحمته، لأنه الذي دفعهم وأعادهم وأعد لهم من الكرامات ما لا يقابله أضعاف أضعاف أعمالهم، ولكن له تعالى تمام الحمد وكمال النعمة، وله الفصل أولاً وآخر،

وظاهراً وباطناً.

قال في «الذائع العوائد»^(١): قد أحبر الله سبحانه في كتابه أنه كتب على نفسه الرحمة، وهذا إيجاب عنه على نفسه، فهو الموجب، وهو متعلق بالإيجاب الذي أوجبه فأوجب بنفسه على نفسه بقوله في الحديث الصحيح: «ما قضى الله الخلق كتب بيده على نفسه في كتاب، فهو عبده موصوع فوق العرش، إن رحمسي تعدت غصبي»، وفي لفظ: «سبقت قضيتي»^(٢)

فتأمل كيف أكد هذا الطلب والإيجاب بذكر فعل الكتابة، وصيغة الياء، ومحل الكتابة، وأنه كتابه وذكر مستقر الكتاب، وأنه عبده فوق العرش، فهذا إيجاب مؤكد بأنواع التأكيد، وهو إيجاب منه على نفسه، ومنه قوله تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم/ ٤٧)، فهذا حق أحقه على نفسه، فهو طلب وإيجاب على نفسه بلفظ الحق ولفظ على ومنه قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح لمعاد: «أتدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حقهم عليه أن لا يعذبهم بالماء»^(٣) ومنه قوله ﷺ في

(١) ج ٧ ص ١٦١

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(٣) متفق عليه

تعالى، وغير ذلك مما جعله مقرباً لمعرفته، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ كُفُوفٌ لِّمَا تَابَ وَهُوَ مِنْ وَرَثَةِ اللَّهِ حَسْبُ الْعَمَلِ﴾ [طه/ ٨٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَ بُدِّلَ نَارِجًا﴾ [هود/ ١١٥]، ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ يَسِّرْ يَنْفِقْ ثُمَّ لَا يَتَّبِعْ خَيْرٌ مِنْهُ خَيْرٌ﴾ [يوسف/ ١٩٠]، وقال سي رحمه الله: «من يرد الله به خيراً يصرف الله عنه».

وقد تكاثرت النصوص الدالة على تكفير السيئات بالخصائص والمكاره التي تعيب العبد، خصوصاً إذا عمل بما أمره الله به من الصبر والاحتساب، وقال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستمعوا لي أغفر لكم»^(١)، «يؤلا عمود ومعرفته ما ترك على ظهر الأرض من دابة، ولكم يفاضل عبده بالإحسان بهم، يحصون لحرب ودية المصير سي بعدت أسماها، فحبها ويريد أن هذا، «سأني بـ» شاء الله وحده عدم دخول الشريك في معرفته الله في حرفة العبد».

وكذلك الثواب من أوصافه والثوب في أوصافه نوعان (فد بتوبة عبده وقبولها بعد المتاب بمئة الصالح يعني أنه الثواب أي كثير التوبة على الخطيئة والمثنيين، وتوبته على عبده نوعان:

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٢) رواه مسلم عن أبي ذر

الأول: إذنه لعبده وتوفيقه للتوبة، فإنه لولا توفيقه لما غفر لعبده بعد إرادته توبة، ثم لولا توفيقه لما صارت توبته بالإرادة عرفت حادثة معرفة ما فعل أساءت لوجهه من (فلاخ عن عدي في الحاد، وندد على ما مضى منه، ونعم على أن لا يعود إليه، والاستمرار على ذلك.

الروح الثاني: توبته على عبده بعد توبة العبد بقولها وإجابتها ومحو الذنوب بها، فهو الذي من بالسبب والمسيب، وله الفضل والإحسان في أول الأمر وأخره، فعلى العبد الاجتهاد في مرضاته، والشكر له على توفيقه وعنته، قال النبي ﷺ: «التوبة نجب ما فيها». منوع عليه «قال يعنى بعدما ذكر لثرت والمعاصي الكبر، فقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ أُتْرَاقَةٍ بِحَسَنَةٍ تَجِدْ لَهُ ثِقْلًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَعْمَلْ مِثْقَالَ أُتْرَاقَةٍ بِسُوءَةٍ تَجِدْ لَهُ ثِقْلًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الفرقان/ ٦٨ - ٧١] وعمل حيلة فبنة يتوب إلى الله مفسداً».

ومن لطفه تعالى وكرمه أنه يفرح بتوبة التائب، أعظم من فرح من فقد راحته التي عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، في أرض مهلكة دوية، فقلها حتى أيس منها، وجعل يتظر الموت، وبينما هو على تلك الحال إذا هو براحته على رأسه، فأحط بحطامها، فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبادي وأنا ربك، أخطأ من شدة

(١) لم نجده في المسانيد بهذا اللفظ

يعرج أيدي أدمت حوسه ودرآكه، كما ست نمت في الصحيحين

فصل

وهو الإله السيد الصمد الذي صمدت إليه الخلق بالإدعاء الكامل الأوصاف من كل الوجوه ، كماله ما فيه من نقصان هذا معنى اسمه «الصمد» المحتى الجامع، الذي يدخل فيه كل ما غسره الصمد، فهو الصمد الذي تصمد إليه جميع المخلوقات بدل الحاجة ولا قدر، وبفضله لا شيء المعوي ويستغني في حوائجه ومهماته، لا يستغني أحد عنه طرفة عين، وهو الصمد الذي له الصفات لكلمه من كل الوجوه، أي ما في كماله من نقصان، فهو الصمد الكامل في علمه، بحلم الكامل في حلمه الرحيم الكامل في رحمته، وهكذا سائر الصفات، فالصمد الذي تصمد إليه جميع المخلوقات لأنه كامل الصفات.

قال المصنف في «البدائع»^(١):

التاسع عشر: أن من أسمائه الحسنى ما يكون دالاً على عدة صفات، ويكون ذلك لاسم متبوعاً بحسين، مثل لاسمه الذي على الصفة الواحدة لها، كما تقدم بيانه، كاسمه العظيم والمجيد والصمد، كما قال ابن عباس في ما رواه عنه ابن أبي حاتم في

(١) عن أنس بن مالك

(٢) ج ١ ص ١٦٨

تفسيره: قال: الصمد الذي كمل في سؤدده، واشريف الذي قد كمل في شرفه، ونقص الذي قد كمل في عظمه، وبحكمه الذي قد كمل في حكمته، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحليم الذي قد كمل في حلمه، وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده، وهو الله سبحانه وتعالى، هذه صفته لا ينبغي إلا له، ليس له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، سبحانه الله الواحد القهار وهذا مما يخفى على كثير ممن تعاطى الكلام في تفسير الأسماء الحسنى، ففسر الاسم بدون معناه، ونقصه من حيث لا يعلم

وكذلك القهار من أوصافه فالخلق مظهرون بالسلطان

لنولم يكن حياً عزيزاً قادراً ما كان من قهر ولا سلطان

«القهار» هو الذي قهر الأشياء، وانفادت لعظمته ومشيته

المخلوقات كلها، فلا يحدث حادث إلا بمشيئة الله، ولا يمكن

ساكن إلا بمراده، ومشيئة الله هي، ورسوله بشاير بكر، ولا

حور ولا قوة إلا بالله يعني العظم والنعمة ﴿وَمَنْ يُؤْتَ

الْقُدْرَةَ﴾ الآية، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْقُدْرَةَ﴾ الآية، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْقُدْرَةَ﴾

﴿مُسْتَحْسِنٌ﴾ الآية، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْقُدْرَةَ﴾ الآية، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْقُدْرَةَ﴾

﴿تَسْمُوتُ وَالْأَرْضُ بِسَمِهِ كَمَا تُسَمَّى عَلَى كَعْبَةٍ﴾ الآية، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ

الْقُدْرَةَ﴾ الآية، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْقُدْرَةَ﴾ الآية، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْقُدْرَةَ﴾

﴿وَالْأَرْضُ بِسَمِهِ كَمَا تُسَمَّى عَلَى كَعْبَةٍ﴾ الآية، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ

الْقُدْرَةَ﴾ الآية، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْقُدْرَةَ﴾ الآية، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْقُدْرَةَ﴾

﴿وَالْأَرْضُ بِسَمِهِ كَمَا تُسَمَّى عَلَى كَعْبَةٍ﴾ الآية، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ

والعدل من أوصافه في فعله ومقاليته والحكم بالميراث
على الميراث مستقيم إليها مولا وملا دال على القرآن
يعني أن الله هو الحكم العدل في وصفه وفي فعله وفي قوله
وفي حكمه بالعدل وهذا معنى كونه تعالى على صرح مستقيم
كما قال هود عليه السلام ﴿إِنِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (هود ٦٦)،
وذلك لأن أفعاله تعالى كلها دائمة بين العدل والحكمة،
فكلها أفعال رشيدة مستقيمة، وجميع أقواله صدق وعدل، وحكمه
الذي عدل، وحكمه بين عباده فيما اختلفوا فيه عدل، وحكمه بين
عباده في الجراء والثواب والعقاب عدل، فليس في شيء من ذلك
ظلم موجه من الموحود، فرب الله لا يعلم مثل ذلك، ولهذا يحمد
الخالق بعدد يقضي بسهم في عبادة، فقال ﴿رَفَعُوا سَمْعَهُم بِالْحَقِّ
وَقَبِلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزمر ٧٥) وقد تعالى ﴿لَهُ الْوَلَدُ
أَمْرٌ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ وَالْمِيرَانُ وَمَا يُدْرِكُ لَعْنُ لِسَانِهِ قُرْآنٌ﴾ (السورة ٢١٧)،
وقال تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (الزمر ١٧)،
وقال تعالى ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ (البقرة ١٣٥)، ولهذا اتفقت لشرائع
كلها على الأمر بالعدل والنهي عن الظلم.

فصل

هذا ومن أوصافه القدوس ذو التنزيه بالتعظيم للرحمن
وهو السلام على الحقيقة سالم من كل تمثيل ومن نقصان

يعني أن من أسمائه القدوس السلام، فالقدوس هو المتزه
المعظم عن كل سوء وكذلك السلام على الحقيقة، وضبط ما
ينزه عنه أمران ذكرهما المؤلف

أحدهما: أنه الكامل المزه عن معاملة أحد من المخلوقات،
فليس كمثله شيء في جميع نعوته، لكمال أوصافه.

والثاني: أنه المتزه عن كل عيب ونقصان، والنقصان يرجع
إلى ما يافض أوصاف كماله، فالقدوس السلام يرجع معناها إلى
التزهد، ويفرم من التزهد التعظيم والثناء عليه بصفات الكمال، لأن
التزهد والسلب المحض ليس مدحاً حتى يتضمن إثبات عده
وهو لكمال

قال المصنف في «بدائع الفوائد»^(١): فصل إذا عرف هذا
فإطلاق السلام على الله تعالى اسماً من أسمائه هو أولى به من هذا
كنه، وأحق من هذا الاسم من كل معنى به، لسلامته سبحانه من
كل عيب ونقص يتخيله وهم.

وسلام في صفاته من كل عيب ونقص، وسلام في أفعاله من
كل عيب وشو وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكمة، بل هو
السلام الحق من كل وجه ويكل اعتبار، فعلم أن استحقاقه تعالى
بهذا الاسم أكمل من استحقاق كل ما يطلق عليه.

(١) ج ٢ ص ١٣٥

وهذا هو حقيقة التنزيه الذي يره به نفسه ونزهه به رسوله، فهو السلام من الصحبة والولد، والسلام من النظير والكميل واسمي واحسان. والسلام من شريك. وذلك قد نصرت إلى أفراد صفات كماله وجدت كل صفة صلاتاً من ما يضاد كمالها، فحاشا سلام من يشبهه ومن يثوب أو يرم، وكذلك يومه وقدره سلام من التبع واللغو، وعلمه سلام من عزوب شيء عنه أو عروض نسيان أو حاجة إلى تذكر وتفكر، وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة، وكلماته سلام من الكذب والنظم، بل سمى كلماته صدقاً وعدلاً، وعنده سلام من حاجة إلى غيره بوجه ماء بل كل ما سواه محتاج إليه، وهو غني عن كل ما سواه، ومنذ سلام من مدح أو ممدح أو معاد أو معادى، أو شفع عنه بدور إيمانه، وبهتة سلام من مشاكلة فيه، بل هو الله الذي لا إله إلا هو، وحسنه وعلمه وصفه ومعرفته وسجاؤه. سلام من أن يكون عن حاجة منه أو دن أو مصابه كما يكون من غيره، بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه، وكذلك عبادته واستقامته وشده بعينه وسرعة عده سلام أن يكون صفة أو تشبه أو عظمة أو قسوة، بل هو محض حكمته وعده ووصفه لأشياء مواضعها، وهو ما يستحق عليه الحمد والشاء، كما يستحقه على إحسانه وثوابه ومعته، بل لو وضع الثواب مكان العقوبة لكان منافيًا لحكمته ولعزته، فوضعه العقوبة موضعها هو من حمده وحكمته وعزته، فهو سلام مما يورثه أعدوه والحاقدون به من خلاف حكمته ونصاؤه وقدره سلام من العيب والحدور والنظم

ومن توهم وقوعه على خلاف الحكمة السابعة... وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم والإحسان إليهم وخلاف حكمته. بل شرعه كل حكمه ورحمة ومصلحة وعدل. وكذلك عطاؤه سلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلى احصائي. ومعه سلام من سجن وحرف لإملاءه بل عطاؤه إحسان محض لا لمعاوضة ولا لحاجة، ومنعه عدل محض وحكمة لا يشوبه بخل ولا عجز. واستواؤه وعلمه على عرشه سلام من أن يكون محتاجاً إلى ما يحسنه، يسكن عنه. بل العرش محتاج إليه، وحملته محتاجون إليه، فهو الغني عن العرش وحملته وعن كل ما سواه، فهو استواء وعلمه لا يشوبه حصر، ولا حاجة إلى عرش ولا غيره، ولا إحاطة شيء به سبحانه وتعالى، بل كان سبحانه ولا عرش، ولم يكن به حاجة إليه، وهو العلي الحميد بل استواؤه على عرشه واستبلاؤه على خلقه من موجبات ملكه وقهره، من غير حاجة إلى عرش ولا غيره بوجه قاء ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا ليس مما يضاد علوه، وسلام مما يضاد حماه وكماله سلام من كل ما يضاد كماله وغناه وسلام من كل ما يتوهم معطل أو شبه، وسلام من أن يكون تحت شيء أو محصوراً في شيء، فتعالى الله ربنا عن كل ما يضاد غناه وكماله. وصمعه ويصره سلام من كل ما يتجلبه مثبته أو يشوبه معص. ومولاه لا يورثه سلام من أن يكون من سواه كما يوالي المخلوق المخلوق، بل هي مولاه حمه وحبر واحد ويرى، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَسْجُدُونَ لَهُ كُرْسِيُّ شَيْءٍ

الْمُنَى وَكَثُرَ يَكُنْ لَهُ فَرْقٌ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَالرَّحْمَةُ ۚ وَكَذَلِكَ مَحَبَّةُ مَحَبَّةٍ
وَأُولَئِكَ سَلَامٌ مِنْ عَوَارِضِ مَحَبَّةِ الْمَخْلُوقِ لِلْمَخْلُوقِ مِنْ كَوْنِهَا
مَحَبَّةٌ حَاجَةٌ إِلَيْهِ أَوْ تَعَلُّقٌ لَهُ أَوْ انْتِمَاعٌ بِقَرْبِهِ. وَسَلَامٌ مِمَّا يَقُولُهُ
الْمَعْطَلُونَ فِيهَا، وَكَذَلِكَ مَا أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ مِنَ الْيَدِ وَالْوَجْهِ فِيهِ
سَلَامٌ عَمَّا يَتَحِيلُهُ مِثْلُهُ أَوْ يَقُولُهُ مَعْطَلٌ

فتأمل كيف تفيض اسمه السلام! كن ما يره عنه تارك وتعالى
وكن من يحفظ هذا الاسم ولا يدري ما نقصته من هذه الأسرار
ولمعاني. والله المستول أن يوفق على تعليق على الأسماء الحسنى
على هذا النمط إنه قريب مجيب. انتهى كلامه رحمه الله. وقد
اشتمل من تفصيل معاني هذا الاسم الكريم على خير كثير

والسر في أوصافه سبحانه هو كثرة الخيرات والإحسان
صدرت عن البر الذي هو وصفه ما لم يحتل له موهاب
وصف وفعل فهو بر محسن مولي الحميل ودائم الإحسان
يعني أي البر في سبته إلى الله موعان.

أحدعنا: أنه البر الرحيم الذي اتصف بسجود وانكسار وكثرة
الخيرات، وأصناف البر الذي لا ينتهي له.

والثاني: أنه البر بمعنى أنه المحسن الذي أنعم على العباد
بأصناف النعم، ودفع عنهم جميع النقم، فما بالعباد من بر وإحسان
وخير وسرور في دينهم وديارهم إلا من الله. وير الأبرار الذي

استحقوا به دخول الجنة من نطفه بهم وتوقيته إياهم، فمعنى البر
هو المتصف بالرحمة العظيمة الذي وإلى على خلقه آثارها،
وأسدى عليهم من جوده ما به استقامت أحوالهم وتمت أمورهم.

وكذلك الوهاب من أسمائه غانظير موهاب مبدى الأرواح
أهل السموات العلوى والأرض عن تلك الموهاب ليس يتفكران

يعني أنه تعالى الوهاب مستمر الإحسان متواتر الفصل، لم
يرل ولا يزال محسناً متفضلاً، دائم الهبات كثير الخيرات جزيل
العطايا، لا يحلو مخلوق عن رحمته وإحسانه طرفة عين، فأهل
السموات والأرض وأهل الدنيا والآخرة لا يتفكرون عن جوده
وإحسانه، ولا يستعوبون عنه في حال من الأحوال، بل هم المعتقرون
إليه على الدوام، فيهب لهم من إحسانه ما به تقوم أمورهم وديارهم،
ويهب لعباده المؤمنين من لونه ورحمة ينم بها شعئهم، ويصلح فيها
نقصهم، ويرفهم بها من أعلى الدرجات ويوصلهم إلى أهل الكر من
ولا يمكن أحداً من المخلوقين تعداد بعض نعم الله تعالى، كما
قال تعالى: ﴿وَلَا تُحْصُوا نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي لَا تَحْصُوهَا﴾ [النحل/ ١٨]

وكذلك الفتح من أسمائه والفتح في أوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرح إلهنا والفتح بالأقدار فتح ثانى
والرب فتاح بدين كليهما هدلاً وإحساناً من الرحمن
يعني أن من أسمائه الحسنى الفتح، وذلك على قسمين:

أحدهما: الفتح بحكمه الديني وحكمه الجزائي

والثاني: الفتح بحكمه القدري. ففتح بحكمه الديني هو شرعه على الأمة وسيله ما به تقوم أحوال المكلفين، وتستقيم أحوالهم لدينية والدنيوية، ويعرفهم كل ما يحتاجون إليه

وأما فتحه بحكمه الجزائي فهو فتحه بين أسانهم ومخالفيهم، وبين أوبيائه وأعدائه، ويصح يومئذ لسلطة من سائر جنس جنس يأمي كل عامل بعمله: ﴿وَنُؤَيِّدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهَمَّ لَا يُفْسِدُوكَ﴾ [الحمل/ ١١١]

وأما فتحه القدري فهو ما يفتح على عبده من خير وشر، ومع وصبر، وعطاء ومع، قال تعالى: ﴿مَا يَتَّبِعُ اللَّهُ لَنَاسٍ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهُمْ وَمَا يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُ﴾ [فاطر/ ٢١]، مهد في فتح الخير وقد في فتح شر على من تعرض به ﴿يَنْتَقِصُ مِنْهُمَا مَعَدَّ جَاءَكُمْ أَلَمْ تَكُنْ﴾ [الأنعام، ٢١٩]، وأسفحهم طلبهم أن يحل بهم ما وعدهم الله على لسان رسوله، تكليفاً للرسول وتنجيزاً لربه، وقد دعاه في فتحه بين أسانهم ومخالفيهم ﴿وَتَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ [الجنه ٢٨- ٢٩]، أي حين يرون يوم العذاب الذي يوعدو به، وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أَفْتَحَ بَيْتًا وَبَيْنَ قَوْمًا بِالْحَقِّ وَأَبَى حَزْرَ الْقَرْيَةِ﴾ [الأنعام ٨٩]، وقد في الفتح بين عباده في دار الحراء: ﴿قُلْ يَتَّبِعْ بَيْتَ رَبِّكَ ثُمَّ يَخْرُجْ بَيْتًا بِالْحَقِّ وَهُوَ تَعْلَمُ﴾ [سبا/ ٢٦]

فأمر هو لفتح أسدي انفراد بالعطاء والسمع، وهو الذي يفتح لعدد خزائن جوده وكرمه، فيعطي من يشاء ويمتنع من يشاء، وهو الذي يأمر وينهى ويثب ويعاقب، وكل هذا تابع لعدله وفضلته، يحمده عليه أئمة الحمد وأكمله، ويهدى قد المصنف عدلاً واحساناً من الرحمن

وكذلك الرزاق من أسمائه	والرزق من أفعاله نوهان
رزق على يد عبده ورسوله	نوهان أيضاً فان معروفان
رزق القلوب العلم والإيمان	والرزق المحمد لهذه الأبدان
هذا هو الرزق الحلال وربنا	ورائعه والفضيل لنعنان
والثان سوق القوت للأعضاء في	تلك المجاري سوقه بوزان
هذا يكون من الحلال كما يكو	ن من الحرام كلاهما رزقان
والرب راقبه بهذا الاعتبار	وليس بالاهلاق دون بيان

قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ [النار، ٥٨]، وذكر المؤلف رحمه الله أن رزقه نوهان

أحدهما: الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة وهو لرزق لدي على يد الرسول ﷺ، رزق القلوب بالعلم والإيمان وحفاظه، ورزق البدن بالحلال الذي لا تبعه فيه، فإن لرزق لدي حصر الله به المؤمنين والذي يسألون منه شامل لذات كله، فيسعي للداعي بالرزق أن يستحضر نفسه هذه الأنواع، فإذا قد النهم الرزقي، فمعناه اللهم ارزقني ما يصح به قلبي من العلم والهدى

والحكمة، ومن الإيمان الشامل لكل عمل صالح وخلق حسن، وما به يصلح بدني من الرزق الحلال الهنيء الذي لا مشقة فيه ولا تبعة تعثرية، وهذا وسيلة للأول، والأول هو المقصود من العبد، ولا بد له من الثاني ليمد بدنه ويصلح لإقامة دين الله

والنوع الثاني من الرزق: الرزق العام لسائر الخبيقة، يرها وفاجرها، بل ناطقها وبهيمةها، وحقيقته هو أن يسوق الله لكل حيوان قوته الذي به تصلح بنيته ويستقيم بدنه، ولابد لكل مخلوق من هذا الرزق، وقد تكمل الله به لكل دابة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَنْعَامُ لَا عَلَى اللَّهِ يَرْزُقُهَا وَمَا يَسْتَوِيهَا﴾ [نور: ٤٦]، أي مبرص لها رزقها في أي مكان تبت، في طلمات البحار، وفي جوف الأرض والصحور، وفي العالم العلوي أو السفلي، وهذا قد يكون بأسباب، وقد يأتي في بعض الأوقات تلا سعي من المخلوق، وقد يكون السبب مباحاً وقد يكون محرماً، ولهذا فإن المصنف قد يكون من الحلال كما يكون من الحرام، وربنا وراقه بهذا الاعتبار، أي من جهة أنه أوصل إليه بفصائه وقدره ما به يستقيم بدنه، وإن كان محرماً يلام عليه العبد، ولا يتعلق به أمر الله، بل هو منهي عنه. وقوله: وليس بالإطلاق أي وليس هذا الرزق الذي يكون من الحرام يسمى رزقاً مطلقاً، بحيث يكون رزقاً تاماً لا محذور فيه، وإنما يقال مطلق رزق.

وبهذا يعرف الجواب عن السؤال المشهور إذا قيل: هل الله على العاجر نعمة ورحمة؟ وهل الله رزقه أم لا؟

والجواب أن يقال: أما سعة المطلقة والرحمة المطلقة والرزق المطلق فإن هذا مخصوص بالمؤمن المتع لمرضاة الله، فإن هذه الأمور تكون نعمة في حقه وأما الكافر والعاجر منه من ذلك مطلق الرحمة ومطلق الرزق، فإنه لولا رحمة ورزقه لما وجد، ولما استقام بدنه، ولما حصل له ما يوافق هواه

وفي كلام المصنف إشارة لرد قول من قال من المعتزلة وغيرهم: إن الحرام لا يسمى رزقاً لوجود التبعة فيه، وهذا قول فاسد، من لازمه أن من يقتل بالحرام فإنه لم يرزقه، وهذا مصادم لما دلت عليه النصوص، ولما تقرر عند كافة بني آدم العثتين لوجود الله فيهم متفقون على أن الله هو الرزاق وحده، كما أنه الخالق وحده، وأنه مامن مخلوق يخلو من رزقه في وقت من الأوقات، ولكن الحرام لا يسمى رزقاً مطلقاً، وإنما هو مطلق رزق كما تقدم.

فصل

هذا ومن أوصافه القيوم	والقيوم في أوصافه أمران
أحدهما القيوم لنام بنفسه	والكون قام به هما الأمران
لأول استغناء عن غيره	والفقر من كل إليه الثاني
والوصف بالقيوم ذو شأن عظيم	مكنا موصوفه أيضاً عظيم الشأن
والحي يخلو فأوصاف الكما	ل هما لأنفس سمائه قطبان
فالحي والقيوم لن تتخلف	أوصاف أصلاً عنهما بين

هذا تفسير للحق القويم، وجمعهما في غاية المناسبة، لأن الله جمع بينهما في غير آية، كما قال تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (آية الكرسي، فاتحة عهدنا)، ﴿وَعَبَّ لَوْحُوهُ بِالْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ (ص ١١)، وذلك أنهم - كما قال المصنف - متشبهون على جميع أوصاف الكمال وصفات النبوة، فثبت إدراكهم مدركاً لا يسمي أحدهما من حيث له يختلف عن ذلك شيء من الأسماء المحسوسة والصفات العلية.

ويبان ذلك أن الحي هو من له الحياة الكاملة التامة، التي لا ينقص فيها بوجه من الوجوه، ويحدد لكلمة مستمرة للسمع والبصر والسمع والقدرة والإرادة القدوة، وسائر الصفات الدنية داخلية في معنى الحياة.

وأما الصفات الفعلية التي يفعلها الباري، مما يتعلق بنفسه: كالاستواء على العرش، والزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للمصل بين عباده، والكلام، وغير ذلك، ومما يتعلق بالمخلوقات كالخلق والبرق والإحياء والإماتة والرحمة وأنواع التدابير الإلهية. فإنها داخلية في القويم، لأن معنى القويم هو بديقه بنفسه مدرك من صفات الكمال ومعوت الجلال، بحيث كان مستعنياً عن غيره من جميع الوجوه، بديقه قام بجميع المستحبات في إيجادها وإعدادها وإمدادها، فكما لا وجود لها، لا الله، فلا مساء لها ولا صلاح إلا به، فهي معنوية إلهية في جميع شئونها، لا يمكن أن تستغني عنه طرفة عين. ومن كمال قيوميته أنه كامل القوة

والقدرة، ما قد لإرادته ونشئيه، فعال بما يريد، قام بنفسه وقام به من صوابه، فالحياتة تستلزم الصفات الذاتية، والقويومية تستلزم الصفات الفعلية.

قال المصنف رحمه الله في مدارج السالكين^(١) في منزلة نبيه في أثناء كلامه: «شاهد قام يكون كنه الله، وقام سبحانه بنفسه، فهو القائم بنفسه، المقيم لكل ما سواه، فإذا رجع فيه في ذلك شاهد بصفته المصححة لجميع صفات الكمال، وهي الحياة التي كمالها بسلام كمال السمع والبصر والقدرة والإرادة والكلام وسائر صفات الكمال، وصفته بصفته المصححة لجميع الصفات الدنية لجميع الأعمال، فالحي والقويم من له كل صفة كماله وهو الفعال لما يريد، انتهى»

هو قابض هو باسط هو خافض هو رافع بالعدل والميزان يعني أنه مدبر لأرواح وأجساد، أيسر لأرواح ورحمة وبكرس، وهو الحافض لأقدامه، رافع لأحزابه، وذلك كنه عذر من الله وحكمه بحمد عباده أم الحمد وكماله، قال تعالى ﴿وَأَنَّهُ يَفْقِصُ مَشَاطِئَ ذُنُوبِهِمْ لِيَنظُرَ مَا فِي سَدْرِهَا﴾ (سورة الأعراف، ٢٤٥)، وقال تعالى ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَنُفِثَنَّ فِيهِمُ الْبُذُرَ لِنُبْلِيَهُمْ بِمَا كَانُوا فِي سُدُورِهِمْ﴾ (سورة الأعراف، ٢٤٦)، فقصصهم في حق عباده المؤمنين، لأنه يسميهم به من لحي وأظمم والعدول، قال تعالى ﴿وَلَنُفِثَنَّ فِيهِمُ الْبُذُرَ لِنُبْلِيَهُمْ بِمَا كَانُوا فِي سُدُورِهِمْ﴾ (سورة الأعراف، ٢٤٦).

(١) ج ٣ ص ٢٦٩ مطبعة أنصار السنة.

ولا معطي لما منع، فمن أعطى فمحمض فضله وإحسانه، لا بسبب من العبد ولا بتقدم واسطة. ومن منع فمحمض عدله وحكمته ومن أعظم عصائه عطاء الهوى، لأمر وتوفير للأعداء بصانحة، وليست يحول العبد وقوته، بل بتوفيق الله به، وعطفه، ونعمتهم في المحل المقابل لها الذي تصلح به، ويمتنعها من المحل الذي لا يليق بها ولا تصلح به ولا تركز عليه، وليس معه لعبد من التوفيق سقاً لحق للعبد حتى يكون ذلك غلماً، وإنما هو محض فضله يسعه من يس له نفس، كما قال تعالى ﴿ أَنْشَرَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّيْءِ حِكْمَةً ﴾ [الأنعام/ ١٥٣] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ شَرًّا لَاسْتَعْمَهُمْ وَلَوْ أَسْمِعَهُمْ أَلْسِنَهُمْ لَسَمِعُوهُمْ قَهْقَرُوا ﴾ [الأنعام/ ٢٢٣]

والعطاء أحب إلى الله من العنع، وقد فتح للعبد من أبواب رحمته وخزائن جوده وعطائه كل باب، فيسر لهم كل طريق يوصل إلى ذلك، وأمرهم بسنوكه، فمن سلكها حصل له من الجود والعطاء ما لا يحطر باباً ويدور في الخيال، ومن لم يسلكها بل سدد دون نفسه أبوابها، وسلك الطرق التي تقضي به إلى الحرمان، فلا يدرك إلا نفسه

فصل

والنور من أسماؤه أيضاً ومن أوصافه سبحانه ذي البرهان قال ابن مسعود كلاماً قد حكاه الدارمي عنه بلا تكرار ما عتده ليل يكون ولا بها رقلت تحت العلك يوجد دان

نور السنوات العلى من نوره
من نور وجه الرب جل جلاله
فيه استار العرش والكرسي مع
وكتابه نور كذلك شرعه
وكذلك الإيمان في قلب العنى
وحجبه نور فلو كشف الحجب
وإدأ أنى للمصل يشرق نوره
وكذلك دار الرب جنات العلى
والنور ذو نوعين مخلوق ووصف
وكذلك المخلوق ذو نوعين محجب
احلر نور فتحت رجلك هوة
من هابل بالجهل زلت رجبه
لاحت له آثار أنوار العبا
فأنى بكل مصيبة وبنة
وكذا الحلولي الذي هو خدنه
ويقابل الرجلين ذو التعطيل والد
والأرض كيف الشمس والقمران
وكذا حكمة المحافظ الطبراني
سبح الطبايق وسائر الأكوام
نور كذا المبعوث به فرقان
سور هنى سور مع القرآن
ب لأحرق السبعات للأكوام
في الأرض يوم قيامة الأبدان
سور ثلالاً ليس ذا طلال
سف ما هما والله متحداً
سوس ومقبول هما شيشان
كم قد هوى فيها على الأمان
فهوى إلى قمر الحضيض الداني
دة ظنهما الأنوار للرحمن
ما شئت من شطح ومن هديان
من ههنا حقاً مما أخوان
حجب الكثيفة ما هما بيان

دأبني كثافة ظلمة وظلامه وظلمة التطيل هذا شاسي

والنور محبوب فلا هذا ولا هذا من ظلمة بربان

يسط المصنف الكلام على النور في هذا الفصل، لشدة الحاجة إلى معرفته ومعرفة الفرقان فيه. وحاصل ما ذكره أن من أسمائه وأوصافه "النور" الذي شرب به نعيم كنها، صور وجهه أشرقت الظلمات، وسند العرش وكرسي مع سبع انطا، ومائة لأكران، وكنهه نور ورسوله نور، والإيمان الذي في قلوب المؤمنين نور، كما قال تعالى ﴿بَيِّنَاتٌ لِّلنَّاسِ فَذِجَاهُ كَمُ بَرِّقَتْ مِن رَّيْكَمُ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ مُورًا مُبِينًا﴾ (الب، ١٧٤)، وقال ﴿فَذِجَاهُ كَمُ بَرِّقَتْ أَقْوُ نُورٌ وَصَحَّتْ لِيِبَتٌ﴾ (الأنعام، ١٥)، وقال تعالى ﴿اللَّهُ نُورٌ أَلْسُنَاتٍ وَأَلْأَرْضُ مِثْلُ نُورٍ، كَيْشْكُورٍ فِي مَقْصَاحٍ يَضَاهُ فِي رُجَاوٍ لِرُجَاهُ كَأَنَّ كَوْنَهُ نُورٌ يُوقِدُ فِي شَجَرَةٍ مُسْكِيَةٍ رِيْنٌ لَا شَرْفَ وَلَا عَرِيْنٌ يَكَادُ رِيْنُهَا نُورٌ، وَلَوْ كَذَّبْتَ نَسْتَهُ سَاءَ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ (النور، ٣٥)، أي نور الإيمان على نور القرآن على نور العطرة، وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ أَلْأَرْضُ بِنُورٍ رَّجِيًّا﴾ (الزمر، ٦٩) وحججه تعالى نور كما قال النبي ﷺ "إن الله لا ينام، ولا يبيس له أن ينام، يحفظ القط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" رواه مسلم^(١) وروى الضرامي عن

(١) عن أبي موسى الأشعري

عبدالله بن مسعود أنه قال "إن ربكم عز وجل ليس صله ليل ولا نهار، نور السموات من نور وجهه" الحديث. ولقد قال المؤلف قمت تحت الغيث يوحد دان، أي ليل والنهار لا يوجدان إلا تحت الغيث الأسفر، لأنها تبع لوجود الشمس وعدمها، وأما الملا الأعلى والعالم العلوي ففي غاية السعة والنور.

وقوله: وكذلك دار الرب نور تلالاً، يشير إلى الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أميمة بن عبد ربه عن أبيها أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه "ألا مشعر للجنة، فإنها لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتؤ، ونهر مطرد، وقصر مشيد، وروحة حياء جميلة، وحبل كثير، وفاكهة وخضرة وحيرة في أبد لا يرول فقال القوم نحن المشركون بها، فقال قولوا إن شاء الله، فقال القوم: إن شاء الله.

ثم ذكر المؤلف أن النور نوعان: نور وصف لله وهو ما أطلقه على نوره الكريم في قوله ﴿اللَّهُ نُورٌ أَلْسُنَاتٍ وَأَلْأَرْضُ مِثْلُ نُورٍ﴾، وكما في قول سي ﷺ "أعود سور وجهك الذي أشرقت له لطيمات، وصبح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تصلي، أنت الحي الذي لا يموت، والإنس والجن يعمنون" وكما في قوله "أشرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" أي

(١) حيرة ابن هشام ج٢ ص ٦٢ مطبعة الحلبي

(٢) رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري.

لأخرى نور وبهارة جميع المحنوعات، وكما في قوله تعالى ﴿وَأَشْرَقَ الْأَنْوَارُ مِنْ رَبِّهِ﴾ ١٦٩، فهذا كله وصف لله تعالى. وكذلك كتابه تعالى نور، وكلامه صفة من صفاته

أما النور المخلوق فهو نوعان: محسوس ومعقول، فالمحسوس الذي يدرك بالحواس ويرى بالعين، فهو نور الحجاب ونور الشمس ونور القمر والنجوم وغير ذلك من الأنوار التي تدخل في قوله ﴿وَجَعَلَ الْقُصْبَ وَالنُّورَ﴾ ١٧٠، واللام ١٧١، وأن النور الذي لا يدرك بالحواس وإنما هو معقول، فهو نور الإيمان وشواهد الإيمان ونور المعرفة وحقيق الذكور ونور المحبة، فهذا نور معقول يشرح الصدر ويحمل صاحبه في حنة معجلة لا يشبهها شيء. وهذا قال تعالى ﴿فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ بَهِيمٍ زَهْرٍ﴾ ١٧٢، وقال تعالى ﴿مَنْ يُؤْتَ الْفَقْرَ لَا تَهْدِنَا لَهُ نُورٌ كَيْتُورٌ﴾ ١٧٣، وقال تعالى ﴿فَمَنْ يُؤْتَ الْفَقْرَ لَا تَهْدِنَا لَهُ نُورٌ كَيْتُورٌ﴾ ١٧٤، وكذا كان النبي ﷺ يدعو في صم ليل وفي خروج إلى المسجد اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، ومن فوقني نوراً، ومن تحتي نوراً، اللهم أعطني نوراً، وردني نوراً، وهذا النور بقوى محبت المعرفة وقوة محبة، وكثره يذكر في سورته عليه القلب واللسان، ومحبت ما يقوم بقلب من حقائق سموات

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس

ثم حذر المصنف رحمه الله في هذا المقام من افتراء من افتراء من جهة المصنوع، بمعبد، حين عمدوا على الحقائق وجهود في سعة ذات تلك قلوبهم، أعظم الوارد إليهم، فطمو بحملهم وحملهم أن تلك أنوار بصابت ذات مقدسة، وتوهموا أن ما يحدونه في أذهانهم موجود في نطاق والعبارة، فاحو بالسطح والحدود الكبري، ودعوا أنهم يشاهدون الله حقاً، بل ربما وصنو إلى درجة الحدود، فصوروا الله حال فيهم ومتصل بهم، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. فالتمسوا أن لم يصحبه العلم واسمير بين نور المخلوق وغيره، فتركوا ذات الحلول ولابد، وسبب ذلك قوة الوارد وصعف المورد وقلة العلم، فلهذا حذر المؤلف، فقال: احذر تزل تحت وجلت هوة، أي حفرة تهوي بصاحبها إلى أسفل سافلين، كما قد هوى بها عن الأركان، من عابد بالجهل رلت رجلاه لهوى إلى قعر الحضيض الداني.

ثم ذكر السبب في قوله، لاحت له آثار أنوار العبادة، ظنها الأنوار للرحمن، أي غناها نور الذات من جهله، فأتى بكن مصيبة وطيبة ما شئت من شطح ومن هديان واستطاع كلام الله الذي يجعل نفسه صرة مست له، بل ربما حمل بها من حصائص الإلهية شيئاً والهديان الكلام الذي لا حاصل له، بل هو عت واطل

ثم قال وكذا الحلولي الذي هو حده أي نظيره ومشبهه من هذا الوجه، فإن التمتع تعرض له هذه الأمور في بعض الأوقات. وإن كان اعتقاده باللام محالاً، بل هو حلولي فهو ندي

يعتقد حلول الإله - تعالى الله عن قوله - في بعض الأشخاص،
كدعوى لصدرى حنوله في عيسى بن مريم، ودعوى علاء رافعه
حلوله في بعض أهل البيت، ودعوى كثير من المتصوفة حلوله
لعدم أو نحاص، فكل هذا من انحراف عن الصراط المستقيم الذي
دلّت عليه الكتب، ودعت إليه الرسل، وكفر وريقة، فهؤلاء
حصل لهم الانحراف من جهة العلو.

ويقابل الرجلين أي جهلة المتعبدة والحلولة رجلان آخران:

أحدهما: المعطل لصفات الله تعالى، الذي ينظر القلوب من
معرفة ربه ومحبة والإجابة إليه، فإن إثبات الصفات شرط لذات،
وهذا يسمى في بعضها وتحريراً، وفي بعضها شائبة، فهذا
محبوب من الله بتعطيله.

والثاني: صاحب المحجب الكثيفة، وهو الذي قد أضر عن
معرفة ربه، وعمل عن ذكره، وأصبح له وكان أمره فرجاً، قد آوى
على شهوات نفسه ولذة جسمه، فقلبه مغمور بالشهوات، مصلود
عن حقائق الحقائق، فهذا يعلمه مدحه وشهيرة ممنوع من نور
القلب والأنس بربه والابتهاج بحبته، لا يصل إليه نور حتى
يمر منه من شغل بصدده عن مباشرة حقائق إلهه، ثم
يجعل محبة الله هي غايته ومقصوده، وإرادة وجهه هي منتهى
طلبه، ويجاهد نفسه على تحللها بهذا الحلق الكامل، ويستعين
بربه ويلتجئ إليه، فما خاب عبد أمل جوده وإحسانه، وتب
لذلك بما يصل إليه قدرته.

فصل

وهو المتقدم والمؤخر ذاك الص -
وعند صفات الذات أيضاً إذ هما
ولذلك قد غلط المقسم حين ظ -
إن لم يرد هذا ولكن قد أرا
والعمل والسمول شيء واحد
فذلك وصف العمل ليس له
فجميع أسماء الأفعال لديه ليس
موجودة لكن أمور كلها
هذا هو التعطيل للأفعال كانت
فالحق أن الوصف ليس بمورد
بل مورد التخصيص ما قد قام يا
فهما إذا نوحان أوصافه وأد
فالوصف بالأفعال يستلزم قيا
كالوصف بالمعنى سوى الأفعال ما
ومن العجائب أنهم ردوا على

عنان للأفعال تدعى
بالذات لا بالتفسير لثباتها
من صفاته نوعين محتاجان
د قيامها بالعمل ذي الإمكان
عند المقسم ما هما شيئان
بالنسبة عديمة البيان
حت قط ثابتة ذات معاني
نسب ترى عديمة الوجودان
معطيل للأوصاف بالميزان
تقسم هذا مقتضى البرهان
لذات التي للنواحد الرحمن
حاصل لهذا قسمه التبيان
م العمل بالموصوفه بالبرهان
إن بين ذنك قط من فرقان
من أثبت الأسماء دون معاني

قامت بمن هي وصحة هذا مما
 وأتوا إلى الأوصاف باسم الفعل لا
 فظهر إليهم أنطوى لأصل يدي
 ب. كن هذا منك فكذا في
 والوصف بالتقديم والتأخير كـ
 وكلامها أمر حمصي وسي
 والله تضر ذلك أجمعه بإحكام
 أصل ما ذكر المصنف في تفسير المقدم والمؤخر أنه المقدم
 لمن يشاء من خلقه المؤخر له، والتقديم والتأخير نوعان: كوني
 قدرتي وديني شرعي، الأول متعلق بقدرته وحكمته. والثاني
 برحمته وقدرته وحكمته. فالأول لا يقد على رضاء ومحبة.
 والثاني على دينه وحسنه. فالأول لا يقد على رضاء ومحبة.
 على حص في لحنه وجرى وسير. مؤخر له في دينه
 وحاصل الثاني أنه المقدم بعض صفاته على بعض في العلم
 والإيمان والعقائد. ثم لا بد من تقديم وتأخير
 حمصي وسي، فحمصي لا يكون المحبوب مقدماً مطلقاً أو
 مؤخر مطلقاً كون أو ديناً. وحمصي لا يكون ديناً باسمه إلى ما
 دونه أو إلى ما فوقه

وقول المؤلف: ولا يحق المثال على أولي الأذهان

ثم تقديم وتأخير النبي فظهر في كوني وديني، فتقديم
 الأب على الولد، وتقديم بعض المذاهب على بعض، وتأخيرها عما
 قبلها، وتقدم موسى في الفصل على غيره من الخلق سوى
 محمد وإبراهيم وإسماعيل، وتقدم من فصل غيره بقصد رتبة
 على المقبول وتأخره عن المفضل

وأما التقديم والتأخير الحقيقي الديني فظاهر، فإنه على
 الإطلاق محمد كذا مقدم بعض على سائر الخلق، وعلى غير
 الإطلاق مؤخر على سائر الخلق، فإنه شر الحقيقة قطعاً.

وأما التقديم والتأخير الكوني حمصي فقد لا يدري مناه إلا
 الله تعالى، لأننا لا نعلم ما أول ما خلق الله مطلقاً، ولا ندري آخر
 ما يخلق الله تعالى، بل لا سبيل لأحد من الخلق إلى علم ذلك،
 لأن الله لم يزل ولا يزال بعض. لا مدأ حدث ولا منتهى. فلا
 يحيط أحد من الخلق بشيء من ذلك.

ثم ذكر المصنف رحمه الله أن المقدم والمؤخر من صفات
 الأفعال، وذكر الفرق بين الصفات الدنية والصفات العلية، وأنها
 كلها مشترك بعضها بالله تعالى. لا فرق في ذلك بين الصفات
 الدنية كالسمع والبصر والسمع والقدرة والحواس وبين الصفات
 العلية كالاستواء والسرور والكلام والحق وأنواع التدبير،
 فكلها قائمة بالله تعالى، لاستحالة وجوده من غير أن يتصف
 به الفعل، هذا محال عقلاً وعلاً ولعمري، فكيف يتصف به شيء
 نفسه فعلاً وهو قائم بغيره، هذا من أصل الظن، ولكن الفرق بين

الصفات الدائية والمعينة من جهة أن الصفات الدائية لا يفتك عنها بوقت ولا حال من الأحوال، كالمعلم الذي لا يمكن أن يفارقه بحال، والقدرة والعنى الذي هو من لوازم ذاته، وكالمعلو على المخلوقات ومحو ذلك.

وأما الصفات العملية فضابطها هي كل صفة تعلقت بقدرة ومشيته، التي إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها على حسب ما تقتضيه الحكمة الربانية، وبغير عنها بالأفعال لا حصره أي المصنعة بإرادته واحداً تعالى. وذلك كالكلام، فإنه لم ير ولا يرى شيئاً إلا شاء وكيف شاء. لا يحصى وصف من الأوصاف تسعة والأوقات اللاحقة التي لا تنتهي بها ولا غاية، ولا هو موصوف بأنه متكلم بما يشاء، بكلماته ائدبية وكلماته لغوية، بل هو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، وأجر يمد من بعده مسحة أحر مدد، فكتب تلك الأقلام وكتب المداد، لعدد ولم تعد كتاب الله، إذ هي غير مخلوقة ولا منسوبة وكذلك نحتو ونسبر والإحسان لم يرب تعالى بذلك موصوفاً وبالإحسان معروف، ولا يران كذلك، ويدن على ذلك كل ما ورد في الكتاب والسنة من أنه قال كذا أو يقول كذا أو فعل كذا أو يفعل كذا مما لا يحيط بذكره لكثرتة وانتشاره، ويدن على ذلك عفاً أنه قد يفر أنه تعالى كامل القدرة باعد المشيئة لم يرب ولا يرل كذلك، ومن كان كامل القدرة تام الإرادة فكيف يحبو وقت من لأوقات أن يكون معطلاً عن فعله وكلامه المعترتب على ذلك، وقد تقرر أيضاً أنه الكامل

من جميع لوجوده لا يعزبه نقص بوجه من الوجوه، ومن المعلوم أن الكمال بما يكون بتصانفه كل وقت أنه يكون ويعمل ما يشاء، وما لو فرض أن يكون معطلاً في وقت من الأوقات عن أفعاله كان ذلك نقصاً، يتعالى عنه الرب لعظيم الكمال في ذاته وأوصافه وأفعاله

فهذا التقسيم بين صفات الذات وصفات الأفعال هو الحق الذي ندر عنه الأدلة وبراهين، فليس لوصف مورد التقسيم، وبها كلها قائمة بالله قد انصف بها، وإنما مورد التقسيم ما قد قام بذات الله من الصفات الانلامه التي لا يفتك عنها أبد، والصفات المتعلقة بقدرة ومشيته وهي الصفات المعينة

ثم أنكر المصنف على من قسمها غير هذا التقسيم، معن بتسبب إلى الأشعري وغيره من أهل الكلام، أن لم يرد ذكره من هذا التقسيم، بل أرادوا أن صفات الأفعال لم تقم بالله ولم ينصف بها، ورومو أن ذلك يقتضي حلول الأحداث في ذات الله، فهو بعد ليعط كل صفة فعلية، فأكروا سورة على عرشه، وبروله إلى اسمه ائدب، وأفعاله التي بوحده شيئاً مثبثاً، وهو على حد أن الكلام عبده عن المعنى لقصي لتقديم الذي لا يعمل، ورومو أن يكون متكماً في كل وقت بما شاء ورد شاء، وهذا لتعطيل لأفعال الله بظن تعطيل بحجته ومن بعدهم لجميع صفات الله الدائية والعملية، ولا فرق بين الأمرين.

ولهذا تعجب المصنف من الأشعرية الذين أثبتوا الصفات

الدائية، وأنكروا غاية الإنكار على الجهمية الذين أنشؤوا لأسماء دون المعاني والصفات، وحقيق بهم أن يتكروا عليهم، من زعموا الأسماء دون المعاني باطل عقلاً وخلاً، ولكن الأشعرية نقضوا أنفسهم الذي ردوا به على الجهمية في صفات الأفعال وعصوا لأفعال سي وصف لله بها نفسه، ووصفه بها غيره، فافصوا في هذه الأصول، واستدلوا بحجة الجهمية بما سلموه لهم من الأصول الذي يقر به لأفعال الله، ودموا العمل هو المفعول، فحرفوا بخصوص كتاب الله، وبرئوه على هذه الأصول الذي أصوبه، وهو أن العمل هو المفعول، وهذا باطل في الشرع، لمتافاته له، وسد في العمل، لأنه محال أن يحدد مفعول بدون فعل متصف به المفعول.

ولهذا أتوهم المؤلف أنه قد دلت قولكم هذه ممكنة على معرض واستدبر، فكذلك في خصوصكم الجهمية في أنفسهم الذي ردوا به صفات الله يكون ممكنة وإن كان قول خصوصكم باطلاً، فعقولكم أيضاً باطل، إذ لا فرق بينهما بوجه من التوحيد.

أقول بمؤلف في حكاية يقول هذه الصفات فذلك أي لأجل أن العمل والمفعول شيء واحد عندهم، ليس وصف العمل عندهم إلا به عدمية بوحدة، أي بسبب به باللفظ وهي معقودة به. وهكذا سائر صفات الأفعال، وهو أعظم من هذا التعطيل وأفضل من قول يبرم منه تعطيل الأفعال عن فاعل لها، وتعطيل الكلام عن المتكلم فيه، قالوا وصف بالفعل يستدعي قيامه بالموصوف قطعاً

وهي أوجب بهذه الصفات ما قد تصدت أفعاله أنهم صور أن إثباتها يقتضي الحدوث لها، فإذا كانت حادثة كان من قامت به حدوث أيضاً، وهذا غير لازم للإشهاد، فإنه لم يرد ولا يرد ما عدا ذلك بعدد الكمال على الألوان والأفعال، ومثله أيضاً ما عدا لا مانع لها بوجه من الوجوه، وحدوث أفعاله وأقواله شيئاً فشيئاً لا محذور فيه، بل هو الكمال كما تقدم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١): وأما قول القائل لو قامت به الأفعال فكان محلاً للحوادث، والحدوث أن أوجده كمالاً بعد عدمه قبله وهو نقص، وإن لم يوجب له كمالاً لم يجوز وصفه به.

فيقال أولاً: هذا معارض بنظيره من الحوادث التي يفعلها فإن كليهما حادث بقدرة ومشيئة، وإنما يترقان في المحل، وهذا التقسيم وارد على الجهتين

وإن قيل في العرف: المفعول لا يتصف به، بخلاف العمل القائم به.

قيل في الجواب: بل هم يصفونه بالصفات الفعلية، ويقسمون تصدق به عليه ونقصه، فصورته تكون حائفاً رزقاً بعد أن لم يكن كذلك، وهذا ينقسم رد عنهم، وقد أوردته عنهم خلافاً في مسائله حدوث العدم، فزعموا أن صفات الأفعال ليست صفات

(١) مجموع الفتاوى ١٠٥/٦ - ١٠٨

كمال ولا نقص.

فمن لهم كمال فهو لهؤلاء في الأعمال شيء يقوم به أنها ليست كمالاً ولا نقصاً.

إن قيل لابد أن ينصف إما بنقص أو كمال، قيل: ولا بد أن ينصف من صفات نفسه، إما بنقص وإما بكمال، هو حار ادعاء خلو أحدهما عن القسمين أمكن الدعوى في الآخر مثله، وإلا فالجواب مشترك.

وأما المتفلسفة فيقال لهم: القديم لا تحله الحوادث، ولا يزال محلاً لحوادث عديم، فليس العدم شيئاً من ذلك عديم، بل عديم هذا هو كمال الممكن الذي لا يمكن غيره، وإنما يفرق عن واجب الوجود لظهور عدم اتصافه به.

وقد تقدم التنبيه على إبطال قولهم في ذلك، لا سيما وما قامت به الحوادث المتعاقبة بمتنع وجوده عن حلة ثامة أولية موجبة لعمومها، فإن لهمة الثامة السوجية بمتنع أن يتأخر عنها معلولها أو شيء من معلولها، وعلى تأخر عنها شيء من معلولها كمال عنه، بالعموم لا بالفعل، واحتاج مصيرها عنه بالفعل أو سبب آخر، فإن كان المخرج بها من القوة إلى الفعل هو نفسه صار فيه ما هو بالقوة هو المخرج له إلى الفعل، وذلك يسلم أن يكون قديماً ودعاً، وهم يمنعون ذلك لامتناع الصفات التي يسمونها التركيب.

وإن كان المخرج له غيره كان ذلك متناً بالضرورة ولا يفتق.

لأن ذلك بدني وجوب بوجوده، ولأنه يصح أن يكون الشيء سبباً في الموثوق به، وإن كان هو بدني صار عاجلاً للشيء بعد ذلك يمكن الجمع أن يكون عنه دونه أرسية تقدم شيء من بعده مستلزم كونه عنه دونه في الأرس، وذلك مستلزم أن لا يحدث عنه شيء بوسط وبغير وسط، وهذا محال للمشهود.

ويقال أيضاً ثانياً في إبطال قوله من جعل حدوث الحوادث مستقماً: هذا مضي على تجدد هذه الأمور بتجدد الإضافات والأحوال ولأعدمه، فإن سبب معلوم في تجدد هذه الأمور ودرى لا بد من بينهما من جهة اللفظ، فقال: هذه حوادث وهذه متجددات، والعروق اللفظية لا تؤثر في الحقائق العلمية.

فيقال: تجدد هذه التجددات إن أوجب له كمالاً فقد حذره قبله وهو نقص، وإن أوجب له نقصاً لم يجز وصفه به.

وبعد ثانياً: الكمال بدني يجب تصافه به هو الممتنع بحدوثه، وإن الجمع ليس من الكمال بدني ينصف به موجودات الحوادث المتعلقة بقدرته ومشيبته بمتنع وجودها جميعاً في الأول، فلا يكون امتناعها في الأول نقصاً، لأن امتناع الممتنع ليس بنقص.

ويقال رابعاً: إذا قدر ذات تفعل شيئاً بعد شيء وهي قادرة على الفعل بنفسها، ودون لا يمكنها أن تفعل بنفسها شيئاً، بل هي كالجمود بدني لا يمكنه حار أن يتحرك، كانت الأولى كمال من انشئة، فعدم هذه الأعمال نقص بالضرورة، لا وجودها بحسب

الإمكان فهو الكمال.

ويقال خامسًا: لا سلم أن عدم هذه مطلقًا نفس ولا كمال، لا . . . وجودها مصفًى بنفسه، لا تسلسل وجودها في ذات الذي افتضت مثبته وقدرته وحكمته وجودها فيه هو الكمال، ووجودها بدون ذلك نفس، وعدمها مع اقتضاء الحكمة عدمها كمال، ووجودها حيث افتضت الحكمة وجودها هو الكمال.

وأما كان الشيء الواحد يكون وجوده ثارة كمالًا وتارة نقصًا، وكذا عدمه، بطريقين متضادين، وهذا كما أن الشيء يكون رحمه - محمداً - إذا كان له كالمطر، ويكون عدلاً - محمداً - فيكون إثزاله عند حاجتهم رحمة وإحسانًا من المحسن الرحيم مصفًى بكماله، ولا يكون برك بزاله حيث يصرفهم بغيره، بل هو أيضًا رحمة وإحسان، فهو محسن بالوجود حيث كان رحمة، وبالعدم حيث كان المعدم رحمة. انتهى كلامه رحمه الله.

وقد يرمي فيه بالدليل العقلي ما به يتبين الحق المبين، فجزاه الله خير وأحسن من هذا، وهو مقصود أنه بذكر بعض هو تقدم المؤخر قدرًا وشرعًا تقديمًا وتأخيرًا تابعًا لحكمته وحجته تعالى.

فصل

اعلم أن المصنف رحمه الله قد استوفى معظم شرح الأسماء المحسنة المذكورة في الكتاب، وما لم يذكرها منها ذكره بذكره أو ما يدل عليه ويستلزمه، فإنه لم يذكر «المعين» وهو في معنى

نصحي العدي، ولم يذكر «الأعنى» وهو في معنى بعدد، ولم يذكر «الرحمن الرحيم الكريم الرؤوف» وهي في معنى البر الجواد الوهاب، ولم يذكر «الرب» والله والملك المالك.

وقد ذكر في «البدائع» أنها منقضية لكثير من الأسماء المحسنة، فقال^(١): «الرب» هو القادر الخالق الناري المصور الحي البصير العليم السميع البصير المحسن لمعه بجلاله بصفته المانع البصير النافع لمقدم المؤخر، الذي يصل من شاء ويهدي عن يشاء، ويسعد من يشاء ويشفي من يشاء، ويعز من يشاء ويدبر من يشاء، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له عنها ما يستحقه من الأسماء المحسنة.

وأما «الملك» فهو الأمر بسمي سمر الممدد، الذي يصرف أمور عبده كما يحب ويصرفهم كما يشاء، وله من معنى الملك ما يستحقه من الأسماء المحسنة، كالعزير البصير المتكبر الحكيم العدل الخافض الرفع لمر المذل العظيم الخليل الكبير لحب المحيد الوالي المتعالي ملك لملك المقسط الجامع، إلى غير ذلك من الأسماء العاقلة إلى الملك.

وأما «الإله» فهو الجامع لجميع صفات الكمال والعبودية، فتدخل في هذه الاسم جميع الأسماء المحسنة، ولهذا كان القوم الصحيح أن الله أصله الإله، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه

(١) ج ٢ ص ٢٤٩.

ولا من شد مهم، وأن اسم الله بذكره معاني هو الجامع لجميع معاني لأسماء الحسنى واصفات العلى، فقد شملت هذه لأسماء الثلاثة جميع معاني أسمائه الحسنى. انتهى.

فصل

هذا ومن أسمائه عالى يرفرد بل يقال إذا أتى بقرآن وهي التي تدعى بمزدوجاتها إسماءها خطر على الإنسان إذ فاك موهم نوع نقص جل رب كالمانع المحطى وكانصار الذي ونظير هذا الدائى المقرون باسم كذا المعر مع المثل وخافى مع رافع لعظام مردوجان وحديث أفراد اسم متظم نحو قوف كما قد قال ذو العرفان ما جاء في القرآن غير مقيد بالمجرمين وجاء بدر سوحان قال المصنف في بدائع العوائد^(١) أسماء تعالى منها ما يطلق عليه معرًا ومقترنًا بمعبر، وهو غالب الأسماء، كالقدير والسميع والصير والعزير والحكيم، وهذا يسوع أن يدعى به معرًا أو معرًا بمعبر، فنقول يا عزير يا حكيم يا معبر يا رحيم، وأن يعر

(١) ج ١ ص ١٦٧.

كل اسم، وكذلك في الله عليه وبحر عنه به، يسوع لك الأفراد والجمع.

ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده، بل مقرونًا بمقابلته، كالمانع والناصر والمستم، فلا يجوز أن يعر هذا عن معناه، فإنه معرود بالمعطي والرفع والمعبر، فهو المعطي مانع، الناصر الرفع، المستمع، المعبر المدبر، لأن الكما في أفراد كل اسم من هذه بما يقابله، لأنه يواد به أنه المنفرد بالربوبية وتبوير الخلق والنصر فيهم عطفه ومما ومما وضرا وعموا واستقاما، وأما أن يشي عليه بمجرد المنع والانتقام والاضرار فلا يسوع

فهذه الأسماء المردوحه بحري الاسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يسمع فصل حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجيء معرفة، ولم تطلق عليه إلا مقترنة، فاعلمه، فلو قلت: يا مدل يا ضار يا مانع، أو أحسرت بذلك، لم تكن مثب عليه ولا حادثة به حتى تذكر معناه هذا كلامه رحمه الله، وهو شرح لهذه الأبيات التي ذكرها هذا

وقوله: ولم تطلق عليه إلا مقترنة، وهنا قال: وحديث أفراد اسم متظم فموقوفه، كما قاله أهل المعرفة، فإن الثابت في الصحيح^(١): "إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة". ولم يذكر عددها، وإنما ذكرت في رواية الترمذي مرفوعة

(١) من حديث أبي هريرة

وموقوفه، والموقوف أصبح، وإذا كان موقوفة ثم بعض هذه
 البعده. وأما مجيء المستقيم في القرآن فإنه لم يطلق عليه إطلاقاً،
 وإنما هذه الله بالاسم من المحرم في قوله ﴿إِنْ مِنْكُمْ شَيْءٌ﴾ [السجدة/ ٢٦].

و جاء في القرآن لفظ ١٥٦ نوعان يحصل أنه في موضعين،
 ويحصل أنه نوعان أي نوع مفيد بالاسم من، ونوعاً من بعد ذلك،
 كما في قوله ﴿وَأَلَّهِ غَيْرُ دُونِ الْغَيْرِ﴾ [الأنعام/ ١٠] وفي تعالى
 ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَسْأَلْهُ اللَّهُ مَبْنًى وَأَلَّهِ غَيْرُ دُونِ الْغَيْرِ﴾ [البقرة/ ١٩٥] وفي
 تعالى ﴿لَا تَقْنَبْ يَتِيمَ فَإَعْرِضْهُ فِي الْيَمِّ﴾ [الأعراف/ ٣٦] وفي
 ﴿فَتَسْتَفْتِي مِنْ دُونِ الْغَيْرِ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَرْجِي مِنْكَ﴾ [النمل/ ١٦].

فصل

ودلالة لأسماء أنواع ثلاث	ث كلها معلومة بغير
دلت مطابقة كذلك تضمنتها	وكذا التزاماً واضح البرهان
أما مطابقة الدلالة فهي أن	لاسم يفهم منه مفهوم
دات لإله ودين الوصف الذي	شتق منه الاسم بالمعبر
نكر دلالة على إحداهما	بعضها فالله فهم بغير
وكذا دلالة على الصفة التي	ما اشتق منها فالشرم دار
وإذا أردت لهذا مثلاً يتأ	فمثال ذلك لفظة الرحمن

دات لإله ورحمة مدلولها
 فهمنا لهذا اللفظ مدلولان
 إحداهما بعض لهذا الموضوع
 فهي تضمن ذات واضح النيان
 لكن وصف الحي لازم ذلك
 فمقتضى لزوم العلم للرحمن
 فلذا دلالة عليه بالتزام
 ينشأ والحق ذو ثبات
 هذه البعده هي ذكرها نصف لسان خاصة بدلالة لأسماء
 حتى على معانيها، بل عامة في جميع اللفظ دلالة مدلولها،
 وصابط ذلك أن الدلالة نوعان لفظية وعقلية

واللفظية إما أن تعطي الألفاظ كل ما تناولته من المعاني
 ولأوصاف، فتسمى دلالة مطابقة، لأن لفظ طيس اسم من غير
 رتبة ولا معنى، وما أن يعطي الألفاظ بعض مدلولها من معانيها،
 فسمى دلالة تضمن. لأن معنى بعض لفظ ودخل في معنى

وأما الدلالة العقلية فهي خاصية العقل والفكر، لعدم دلالة
 لفظ بمجرد عليا، وإنما ينظر لبعض في ذلك المعنى الذي
 عليه المعنى وما يلزمه من المعاني الخارجية، وما يشترط له من
 لشروط لي لا تتم مدلولها، فهذه قاعدة غريبة تجوز في جميع
 الألفاظ وتعتبر في كل موضع.

وذكر المصنف هنا منها ما يتعلق بالأسماء الحسية، وأخير أن
 الاسم من أسمائه الكريمة إن دل على الذات الإلهية والوصف
 الذي شتق منها دلالة مصدعه، وإن دل على أحد الأمرين

إليه بحمده، وأنه لا إله إلا هو المنان، فهو توصل إليه بأسمائه
وصعائمه، وما أحق ذلك بالإجابة، وأعظمه موقعاً عند المستول
وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد أشرنا إليه إشارة، وقد فتح
لنفسه بصره الله

فلنرجع إلى المقصود، وهو وصفه تعالى بالاسم المتضمن
لصفات عديدة، فالمعظم من اتصف بصفات كثيرة من صفات
الكمان، وكذلك الصمد، قلت: وقد تقدم ذلك في الصمد.

ثم قال: السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين
والوصفين بالأخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو العلي
الحميد، العزير القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات
المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن اغني صفة كمال،
والحمد كذلك، واجتماع العلي مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من
عالم وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما، وكذلك العفو القدير،
والحميد المجيد، والعزير الحكيم، فتأمل فإنه من أشرف المعارف

وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى إلا
أن يكون متضمنة لثبوت، كالأحد المتضمن لانفراده بالربوبية
والإلهية، والسلام المتضمن لبرأته من كل نقص يناقض كماله.
وكذلك الإخبار عنه بالسلوب هو لتضمنها ثبوتاً، كقوله تعالى:
﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، فإنه متضمن لكمال حياته وقبوميته.
وكذلك قوله تعالى ﴿وَمَا مَسَّ مِنَ لُغُوبٍ﴾ [٣٨] متضمن
لكمال قدرته وكذلك ﴿وَمَا يَصْرُوبُ عَنْ رُؤُوكَ مِنْ ثِقَلٍ دَرَّابٍ الْأَرْضِينَ وَلَا

إِلَى السَّمَاءِ﴾ [يونس/ ٦١] متضمن لكمال علمه. وكذلك قوله تعالى:
﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ يَوْمٌ﴾ [الإحلاس ٣] متضمن لكمال صمدية
وعده، وكذلك قوله ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإحلاس ٢٤]
متضمن لتعده بكماله وأنه لا نظير له. وكذلك قوله ﴿لَا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام/ ١٠٣] متضمن لمظلمته وأنه جل عن أن يدرك
بحيث يحاط به، وهذا مطرد في كل ما وصف به نفسه من السلوب.

ويجب أن يعلم هنا أمور:

أحدها: أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما
يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء والموجود والقائم بنفسه،
فإن هذا يخبر به عنه، ولا يدخل في باب أسمائه الحسنى وصفاته
العلوية.

الثاني: أن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم
تدخل بمطلقها في أسمائه، بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا
كالمريد والمصيح ولعل، فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه،
ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإحلاق، بل هو المعان لما
يريد، فإن لإرادة والمعل والمصع منقسمة، وبهذا إما أطلق على
نفسه من ذلك أكمله معلاً وخبراً

الثالث: أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مفيداً أن يشق له
منه اسم مطلق، كما غلط فيه بعض المتأخرين، فيجعل من أسمائه
الحسنى: المفضل (الفاتن الماكر)، تعالى الله عن قوله، فإن هذه

الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أعمال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة.

الرابع: أن أسماء الحسنى هي أعلام وأوصاف والوصف فيها لا يفي العلمية، بخلاف أوصاف بعباد فيها شافي علميهم، لأن أوصافهم مشتركة، وفائدتها العلمية لمحصه، بخلاف أوصافه تعالى.

الخامس: أن الاسم من أسمائه له دلالات، دلالة على الذات والصفة بالمعاقفة، ودلالة على أحدهما بانتزاع، ودلالة على الصفة الأخرى بالزوم.

السادس: أن أسماء الحسنى لها اعتباران، اعتبار من حيث الذات، واعتبار من حيث الصفات، وهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة.

السابع: ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه في الأخبار لا بحث أب يكون توقيفاً، كالقديم ولشيء والعوجود والقائم بنفسه. فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها ما لم يرد به السمع.

الثامن: أن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل، فيجوز به عنه فعلاً ومصدرًا، نحو السمع البصير القدير، يطلق عليه منه اسم السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك، نحو قد سمع الله، فقدرنا فنعم القادرون، هذا إن كان

الفعل متمدياً، فإن كان لازماً لم يخبر عنه به، نحو الحي، بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال: حيي.

التاسع: أن أفعال الرب تعالى صادرة عن أسمائه وصفاته، وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم. فالرب تعالى معاله عن كماله، والمخلوق كماله عن فعله، فاشتقت له الأسماء بعد أن كمل بالفعل والرب تعالى لم يزل كاملاً فحصلت أفعاله عن كماله، لأنه كمال بذاته وصفاته، فأفعاله صادرة عن كماله، كمال فعله، والمخلوق فعل فكمال الكمال اللائق به.

العاشر: إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواء إما أن تكون خلقاً له تعالى أو أمراً، إما علم بما كونه أو عدم بما شرعه، ومصدر الحق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباطاً مقتضي بمقتضيه، فالأمر كنه مصدره عن أسمائه الحسنى، ولهد كله حسن، لا يخرج عن مصالح العباد والرافة والرحمة بهم والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كله مصلحة وحكمة ورحمة ولطف وإحسان، إذ مصدره أسمائه الحسنى، وفعله كله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة، إذ مصدره أسمائه الحسنى، فلا تفاوت في خلقه ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلاً ولا عبثاً ولا سدى، وكما أن كل موجود سواء بإيجاده، فوجود من سواء تابع لوجوده، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسمائه كتب ينبغي للمخلوق أحصى

جميع العلوم، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم، لأن المعلومات هي من مقتضياتها ومرتبة بها. فتأمل صدور الحلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى، ولهذا لا تجد فيها خللاً ولا تعدياً، لأن الحلق الواقع فيه بأمره العبد أو فعله بما أن يكون لجهله به أو لعدم حكمته، وأما الرب تعالى فهو العليم الحكيم، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تعاد ولا تناقض.

الحادي عشر: أن أسمائه كلها حسنى، ليس فيها اسم غير ذلك أصلاً. وقد تقدم أن من أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل، نحو الخالق الرارق والمحى والمحيى، وهذا يدل على أن أفعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها، لأنه لو لعل الشر لاشتق له من اسم، ولم تكن أسمائه كلها حسنى، وهذا باطل، فالشر ليس إليه، فكما لا يدخل في صفاته ولا يلحق في ذاته فلا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه، لا يضاف إليه فعلاً ولا وصفاً، وإنما يدخل في معولاته. وفرق بين الفعل والمفعول، فالشر قائم بمفعوله المبين له، لا بفعله الذي هو فعله. فتأمل ههنا، فإنه حقي على كثير من المتكلمين، وزلت فيه أقدام، وضيت فيه أفهام، وهدي الله أهل الحق لما اختلفوا فيه من الحق بذكره، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الثاني عشر: في بيان مراتب إحصاء أسماء الله تبارك وتعالى التي من إحصاء دخل الجنة، هو قطب السعادة ومدار النجاة، وإصلاح المرتبة الأولى إحصاء أفعاله وعددها.

مرتبته الثانية فهم معانيها ومداركها ومدلولها

المرتبة الثالثة دعاؤه بها، كتب من يعانى ﴿وَقُلُوا أَسْمَاءُ اللَّهِ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف/ 180]، وهو مرتبة ثان: إحصاء دعاؤه ثناء وعبادة، والثانية دعاء طلب ومأله، ولا يشى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولذلك لا يسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود أو يا شىء أو يا ذات اعمر لي وارحمي، بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضى لذلك المطلوب، فكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم، ومن تأمل أدعية الرسل ولا سيما خاتمهم وإمامهم صلوات الله وسلامه عليهم وجدها مطابقة لهذا. إلى أن قال:

الثالث عشر: اختلف النظر في الأسماء التي تنطق على الله وعلى العباد، كالحى والسميع والبصير والعليم والعزيز والملئ ونحوها فقالت طائفة من المتكلمين: هي حقيقة في العبد مجاز في الرب، وهذا قول غلاة الجهمية، وهو أخبث الأقوال. الثاني: مقابلة وهو أنها حقيقة في الرب مجاز في العبد، وهذا قول أبي العباس الماشى.

الثالث: أنها حقيقة فيهما، وهذا قول الأكثرين، وهو الصواب، وختلاف التحقيقين فيهما لا يخرج عن كونها حقيقة فيهما. ولرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللمد منها ما يليق به.

وليس هذا موضع التعرض لتأخذ هذه الأقوال بإبطال باطلها وتصحيح صحيحها، فإن تعرض لإشارته إلى أمور يسعي معرفتها

في هذا الباب، ولو كان المقصود بسطها لاستدعت شعريين أو أكثر

الرابع عشر. أن الاسم والصفة من هذا النوع له ثلاث اعتبارات.

اعتبار من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب أو بالعبد.

الاعتبار الثاني: اعتباره مضافاً إلى الرب مختصاً به

الثالث: اعتباره مضافاً إلى العبد عقيداً به، فما لزم الاسم لدونه وحقيقته كان ثابتاً للرب والعبد والرب عنه ما يليق بكماله وللعبد ما يليق به، وهذا كاسم «السميع» الذي يدرك إدراك المسموعات، و«البصير» الذي يلزمه رؤية المبصرات، و«العليم» و«القدير» ومائر الأسماء، فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها وحققها للموصوف بها كما لزم هذه الأسماء لذاتها، فإثباته للرب تعالى لا محذور فيه بوجه، بل يثبت له على وجه لا يماثل فيه حقه، ولا تشبههم، فمن عده لاطلاقه على المخلوق ألحد في أسمائه. ووجد صعاب كعادته. ومن أثبت على وجه يماثل فيه حقه فقد شبهه بحقه، ومن شبه الله بحقه فقد كفر. ومن أثبت له على وجه لا يماثل فيه حقه، بل كما يليق بجلاله وعظمته، فقد برى من قرئ التشبيه ودم التعطيل، وهذا طريق أهل السنة.

ومالرم الصفة لإضافتها إلى العبد وجب نفيه عن الله كما يلزم حياة العبد من النوم والسنة والحاجة إلى الغذاء وبحو ذلك وكذلك ما يلزم إرادته من حركة نفسه في جلب ما يتنعم به ودفع ما ينشعر به، وكذلك ما يلزم من علوه من احتياجه إلى ما هو عال

عليه وكونه محمولاً به مفتقراً إليه محتكاً به، كل هذا يجب نفيه عن القدوس السلام تبارك وتعالى.

وما لزم الصفة من جهة اختصاصه بمعنى بها فإنه لا يثبت للمخلوق بوجه، كعلمه الذي يلزمه القدم والوجوب والإحاطة بكل معلوم وقدرته وإرادته ومائر صفاته، فإذا ما يحتص به عنها لا يمكن إثباته للمخلوق، فإذا أحطت بهذه القاعدة حراً. وعند كما ينبغي، خلصت من الآتين اللتين هما أصل بلاء للمكمنين، أنه يتعطل رقة التشبيه، فثبت رد وبيت هذا المقام حقه من التصور أنت لله لأسماء بحسب وسميات العلى حقيقة، فخلصت من التعطيل، وعب عنها حصائص المخلوقين ومشبهتهم، فخلصت من تشبيه فتدبر هذا الموضع واجعله جئت التي ترجع إليها في هذا الباب، والله الموفق للصواب.

الخامس عشر: أن الصفة متى قامت بموصوف لزمها أربعة أمور: أمران لفظان، وأمران معنويان، فاللفظيان ثبوتي وسلبى، والثبوتي أن يشتق للموصوف عنها اسم. والسلبى أن يمتنع الاشتقاق لغيره. والمعنويان ثبوتي وسلبى. فالثبوتي أن يعود حكمها إلى الموصوف ويخير بها عنه. والسلبى أن لا يعود حكمها إلى غيره ولا يكون حيزاً عنه

وهذه قاعدة عظيمة في معرفة الأسماء والصفات. عندك من ذلك مثلاً واحداً، وهي صفة الكلام، فهي إذا قامت بمحل كان هو المتكلم دون من لم يقم به، وأخبر عنه بهاء وعاد حكمها إليه

دون غيره، فيقال: قال وأمر ونهى ونادى ونأجى وأخبر وخاطب
وتكلم وكلم ونحو ذلك، وامتنعت هذه الأحكام لغيره، فيستدل
بهذه الأحكام والأسماء على قدم الصفة به وسلبها عن غيره على
عدم قيامها به، وهذا هو أصل أهل السنة الذي ردوا به على
المعتزلة والجهمية، وهو من أصح الأصول طردًا وعكسًا.

السادس عشر: أن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا
تعد بحد. إلى آخر ما ذكره مما تقدم مضمونه، وما سيأتي له
تمته في الفصل بعده.

فصل

في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء رب العالمين.

وذكر انقسام المنحدين

والمقصود من هذا الفصل حفظ أسماء الله وأوصافه عن أن تحرف
أو تغير، أو ينقص منها شيء، أو يبحس من كمال شيء من أوصافه،
أو تعطل أو تمثل، ولهذا ذكر الأصل الجامع في هذا بقوله:

أسماءه أوصاف مدح كلها مشتقة قد حملت لمعاني
يعني أن أسمائه كلها أوصاف مدح وحمد وثناء، وهي مشتقة
من معانيها ثابتة له حفاظها، ولذلك كانت حسنى، فلو كانت
أعلامًا محضة لم تكن حسنى، ولو كانت دالة على نقص أو بعض
دالًا على ذلك لما كانت كلها حسنى، ولهذا إذا كان الوصف

محملاً للمدح ولغيره سم يدرج بمطلعه في أوصاف الله وأسمائه،
كالمريد والصانع والفاعل ونحو ذلك

قال المصنف في «البدائع»^(١):

الثامن عشر: أن الصفات ثلاثة أنواع: صفات كمال، وصفات
نقص، وصفات لا تقتضي كمالاً ولا نقصاً. وإن كانت التسمية
استديرة تقتضي قسمًا رابعًا، وهو ما يكون كمالاً ونقصًا معًا،
والرب تعالى منزّه عن الأقسام الثلاثة، وموصوف بالقسم الأول،
صفاته كلها صفات كمال محض، فهو موصوف من الصفات
بأكملها، وله من الكمال أكمله، وهكذا أسمائه الدالة على صفاته
هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها، ولا
يقوم خيرها مقدمها، ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بخيرها
ليس تفسيرًا بمرادف محض، وهو على سبيل التقريب والتمهيم
وإد عرفت هذا فله تعالى من كل صفة كمال أحسن سم وأكمله
وأتمه معنى، وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص، انتهى.

إيمانك والإلحاد فيها إنه كفر معاد الله من كفران
وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالإشراك والتعطيل ونكران
تألمحون إذا ثلاث طوائف فعليهم غضب من الرحمن
بين أن أسمائه تعالى كلها أوصاف مدح، حذر مما يدعي ذلك

(١) ج ١ ص ١٦٧

وهو الإلحاد، وأخبر أنه كفر كما قال تعالى ﴿وَقَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ بِمَا وَدَّعُوا إِلَهِينَ يَلْعَنُونَ﴾ في أسمائهم سَحَرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ (الأعراف / ١٨٠)، وإنما كان الإلحاد فيها كفراً لأنه رد لما أحبر الله به ورسوله من صفات الله المقدسة وبعبارة الكلمة، بالمعنى فيها بالإلحاد فيها، وجعلها له ولغيره، كما يفعله المشركون، أو بقي معانيها وحقائقها كما يفعله المعطلة، أو إنكارها كاملة كما يفعله الرادقة

ولهذا أخبر المصنف أن الملحدين منقسمون إلى ثلاثة أقسام، وهم حل عليهم غضب الله وعذابه
قال في «بدائع الفوائد»^(١):

المشركون: وهو الجامع لما تقدم من الوجوه، وهو معرفة الإلحاد في أسمائه حتى لا يقع فيها، قال تعالى ﴿وَقَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ بِمَا وَدَّعُوا إِلَهِينَ يَلْعَنُونَ﴾ في أسمائهم سَحَرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ (الأعراف / ١٨٠)، والإلحاد فيها هو العنول بها وبحقائقها ومعانيها من الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الحيل، كما يدل عليه مادة (لح د)، فمته الملحدين هو الشك في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملحدين في الدين الحائل عن الحق إلى الباطل.

قال ابن السكيت: الملحدين المائل عن الحق العنول فيه مائيل منه، ومنه الملحد وهو معتدل من ذلك. وقوله تعالى:

(١) ج ١ ص ١٦٩.

﴿وَلَمْ يَجِدْ مِنْ دُونِهِ مُتَعَدِّكًا﴾ (الكهف / ٢٧)، أي من تعدل إليه وتهرب إليه وتلتجئ إليه وتبتل إليه فتعبد عنه عن غيره، تقول العرب: المتحد فلان إلى فلان إذا عدل إليه.

إذا عرف هذا فالإلحاد في أسمائه تبارك وتعالى أنواع: أن يسمى الأسماء بها لتسميتهم اللات من الإلهية، والعزيز من العزيز، وتسميتهم الصم إنهم، وهذا الإلحاد خمسة، فربهم عدوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة، ولهذا فن هنا:

المشركون لأنهم سموها بها أوثانهم قالوا إله ثاني
هم شبهوا المخلوق بالخالق فكـ من شبه الخلاق بالإنسان

أي يدخل في الإلحاد في أسماء الله من جهة التشريك في التسمية المشركون الذين شبهوا المخلوقات بالصفات من جميع الوجوه بالمخالق الرب العظيم الكامل من كل وجه، فسموها آلهة ونحلوا لها من أسماء الله ما سحوا، كما تقدم. ويدخل فيه أيضاً المشبهة من عبادة الرافضة واليهود الذين شبهوا الخالق تعالى بالمخلوق، فحملوا ما جاءت به بصوص الأنبياء من أوصاف كماله على ما يعقلونه من صفات المخلوقين، وأعطوا صفاته خصائص صفات المخلوقين، وهذا من أعظم الإلحاد في أسمائه وآياته

وكذلك أهل الاتحاد فربهم إخوانهم من أقرب الإخوان
أعطوا الوجود جميعه أسمائه إذ كان عين الله ذا السلطان

والشركون أقل شركاً منهم هم خصصوا لنا الاسم بالأوثان
ولذلك كانوا أهل شرك عندهم لو هموا ما كان من كفران
أي وكذلك يدخل في هؤلاء الملحدين الذين شركوا بين
المحذوقين والخالق بعض الصفات أهل الاتحاد الذين عم شرهم
وطعن كفرهم وبنظروا عليه لتلصق إلى بطلان أساس تكريمهم
الشيعة التي هو أظهرها على صورتها وحقيقتها برأى أساسها
إنكار رب العالمين جملة، وإنكار الرسل والكسب جملة، وإنكار
المعاد والبعث بعد الموت، ولذلك اتفق المعارفون بأنفسهم أنهم
أكفر من اليهود والنصارى والمشركين.

ومن أكبر العجب افتراء كثير ممن يتسبب إلى الإسلام بهذا
المذهب الحديث، وتعظيمهم لأهل هذا المذهب حتى أدخلوه في
كتبهم، واعتبروه في مناقبتهم، وسوء التحقيق، فلا حوز ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم وحقيقته مذهبهم أن جميع لعالم العلوي
والسفلي شيء واحد متحد بعظمه ببعضه وإن تباينت أجزأه
وتفرقت أحواله، فما ثم خالق ولا مخلوق، ولا رب ولا مربوب،
ولا واحد الوجود وممكن الوجود، بل المخلوق نفس المخلوق،
والرب نفس المربوب، والحد نفس المعود، وحطو لله كل صفة
ممدوحة وممدومة، إذ كان هو الممدوح الممدوم، تعاني الله عن
قوبهم علواً كبيراً، فذهب أعظم ساجدين في أسماء الله وصفاته
والشركون أقل شركاً منهم، لأنهم خصصوا معبوداتهم من الأصنام
والأوثان بأسماء الله، وهؤلاء الملاحدة أعطوا جميع الموجودات

أسماء الله وأوصافه، إذ كان أصل مذهبهم أن الله هو عين هذه
الموجودات، فالو ربما كفرت لمشركين لأنهم خصصوا الإلهة
بعض المخلوقات، ولو عمموا فجعلوا كل موجود لها ما أشركوا
ولا كفروا.

تباً لهم ما أضلهم وأعماهم، حيث أنكروا وجود واجب
لوجود الرب العظيم بحيث الكبير، واشتبه عليهم بوجود هذه
المخلوقات الممكنات التي ليس لها من أصلها إلا انعدم عدم
الوجود وعدم الكمال، وهذا القوم يكفي في رده مجرد بصورة،
فإن صاده معلوم بضرورة العمل والشرح وبمقصود أن هؤلاء
الملاحدة من الذين ألبسوا في أسماء الله، وجعلوها لثائر
المخلوقات، كما خصها الشركون ببعض المخلوقات.

والملاحدة الثاني فذو التعطيل إذ ينفي حقائقها بلا برهان
ما ثم غير لاسم أوله بما ينفي الحقيقة ينفي دي بطلان
هذا القسم الثاني من الملحدين في أسماء الله، وهم معطلة
لأسماء الله، السابق لحقائقها ومعانيها بلا برهان، ولا حجة إلا
أهوية وآراء فاسدة لا يسمي ولا تعي من حوز، فلا يشوب لله إلا
أسماء مجردة عن المعاني، فيقولون عليهم بلا علم، سمع بلا
سمع، بصير بلا بصيرة، قدير بلا قدرة، وإن أثبتوا لها معنى أربوها
بالمعاني المحارية التي يعمم بالضرورة أن الله ورسوله لم يريدوا،
بل أرادوا غيرها، ويدخل في هؤلاء التحمية والمعتزلة والأشعرية

ثم الجهمه وفروعهم متدويره في هذا الالحاد، فهم يعادي والمتوسط والعتكوسه وكل من جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك، فليظن أو ليبتكر.

انتهى - ريقوله:

فالقصد دفع النصر عن محبي الـ	محبيه تاجهد فيه لفظ بر
عقل وحرف ثم أوب وانها	وقد حميم وانكمر
للمنبن حقائق الأسماء والـ	أوصاف بالأخبار والقراء
هذا هم حنحو عليك فقل لهم	هذا محار وهو وضع نسي

179, 180 (1)

يعني أن المقصد من هذا المعطل بمحمد دفع نص الكتاب
والسنة الوارد في صفات الله ونعوته، فهو مجتهد بدفعه حاية ما
يمكنه بكل ما يقدر عليه، فينسون إلى هذا المقصد الباطل
بعض المعاني الصحيحة وبحريتها، أي تعريضها إلى معاني
باطلة، فيسمى المعنى الحق ونسب المعنى الباطل، ثم ما يكفهم
هذا حتى يقدروا أهل الحق بمنسب صفات أسماء الله وحده على
ما جاءت به النصوص بالتجسيم والتكفير، ليتفروا عن قولهم
ويقبحوه بما وضعوا لهم من الأسماء الباطلة، ويسمون أنفسهم
أهل الحق ومقاتلهم هي نسبة ذلك لبعضنا، كما قال الله تعالى
﴿يُؤَيِّسُ مَتَّعُهُمْ وَلِيُغْوِيَهُمْ عَنِ الْقَوْلِ عَرَّضًا﴾ (نمل ١٠)

فإذا هم باطروا أهل الة ولجماعة عرفوا أن النصوص مكتوبة
وليس مع أهل الة، فبعضهم بعضاً، فقولوا إذا حذر
عنكم قولوا لهم هذا محذر، وسبحار هو ما وضع ثباتاً وليس
المراد به ما بينهم منه، فإدراككم من هذا صانوا به وحالوا، فإذا
عنوا عن المحذر وأنهم من الحقائق عالا فليهم به، ولا يمكن
دعوى المجاز به كما هو جلي في نصوص الأسماء والصفات،
لجئنا إلى قاعده لهم حبيته بطلته، وهي أن النصوص أدبه لعظه لا
نفي الحق وإيقين، وإنما نفي عنه الظن، وبرعهم أن الذي بعد
إيقين هو أراؤهم، فسادة وعقولهم الضالة، فإذا أتت النصوص

محالمة بما ستر في نفوسهم وأوا من الملام صبرها عن العراء بها موافقة لما يعتقدونه

وقد ظلموا في هذا أكبر الظلم وأبعثه، فإن نصوص الكتاب والسنة في أعلى رتب الحق واليقين، وهي أرفع أنواع الصدق، فإنها كلام الله الذي لا أصدق منه قبيلاً ولا أحسن منه حديثاً، وكلام الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى. ومع ذلك فقد أيد الله ورسوله ما أخبروا به من الحق بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة، التي لا تنفي في قلب مريد الحق والهدى أدنى ريب.

وغاية ما يوجد عند المتكلمين من المعقولات والبراهين جرم يسير مما اشتمل عليه كتاب الله وسنة رسوله، بل لا يمكن أن يوجد في الكتاب والسنة مسألة واحدة مخالفة لما يعطيه العقلاء أهل البصيرة السوية بل أدلة المعقول موفقة لأدلة المسمول، فكيف يقول لقاتل إنها أدلة تعظيية لا تعيد لغيره، سبحانه هذا بهتان عظيم، يرمم منه بطلان أحبارهم وأوامره ونواهيهم ولكم برب العالمين رأساً فإنه لا يشاء تناول أن يتأول إذا فتحت لهم هذه القاعدة الشعماء، والمقالة التي لم يسبق المتكلمين بها أحد من رسل الله ولا من الصحابة والتابعين لهم بإحسان

ثم إن للمتكلمين أصلاً آخر إليه يفزعون عند تراجم النصوص عليهم، وبه يستحصنون عن أدلة الكتاب والسنة، ذكره بقوله

فإذا تضالرت الأدلة كثرة وغلبت عن تقريرها بيان
عليك حيثما يفتنون وضعت
ولكل نصر ليس يقل أن يا
قل عارض المعقول معقول وما
ما ثم إلا واحد من أربع
إعمال قين أو عكس أو ثلثي الد
العقل أصل النقل وهو أبوه إن
تضمن الإعمال للمعقول وفي
إعماله يقتضي إلى القضاء
فما يجره هجر الشرك والسيان

يعني أن المتكلمين يصرون بهذا القبول الباطل على دفع أدلة الكتاب والسنة، وحاصل تقريره: أنهم يقولون إذا عارض العقل والنقل فلا بد من واحد من أربعة أمور: إما أن يعمل كلاهما أو يلغى، أو يعمل النقل ويلغى العقل، أو يعمل العقل ويلغى النقل، وعندهم أن لأقسام الثلاثة الأول غير ممكنة، وأنه يتعين القسم الرابع، وهو إعمال المعقول وإلغاء العقل، وذلك أن إعمالها مع التعارض غير ممكن، فإنهما لو أملا والحانة هذه لم يكن تعارض، ولعازهما أيضاً غير ممكن، لأنه يلزم منه بطلان العقل والنقل، وإعمال النقل مع إلغاء العقل غير ممكن على رعيهم، لأن إعمال النقل يقتضي إلغاء العقل، فإن النقل لم يعرف إلا بالعقل، فهو الطريق

ثبوته على دعمهم، فإذا قدح في الأصل الذي هو العمل لزم القدح فيما يفرع عنه وهو الفل، فتعين حينئذ إعمال العقل وإلغاء النقل بهذا القانون العائنه ووجب أن تورط به نصوص الكتاب والسنة.

وهذا بتقسيم الذي حضوره هذه الأقسام وانحكم الذي حكموا به باطلان عقلاً وشرعاً، وقد نصت لإبطاله الإمام الكرخي رحمه الله تعالى في كتابه الفهم والعقل، وقال لما ذكر تقسيمهم هذا والمعصود من الكلام على قول علي بن محمد تعرضت الأدلة السبعة وبحثت في حرد وبكلام على هذه الجملة في علي بن بيان ما في مقدمتها من التمسك، فربما صبه على مقدمات أولها ثبوت تعارضهما، والثانية بحصار لنفسهما ذكره من الأقسام الأربعة، وثالثه بطلان الأقسام الثلاثة والمقدمات الثلاثة باطلة.

وبيان ذلك بتقدم أصل، وهو أن يقال: إذا قيل: تعارض ديلان سواء كان سميعين أو عقليين أو أحدهما سميعاً والآخر عقلياً، فالواجب أن يقال لا يجوز إما أن يكونا قطعيين أو يكونا ظاهرين وإما أن يكون أحدهما قطعيّاً والآخر ظاهرياً، فأما قطعيين فلا يجوز تعارضهما سواء كانا عقليين أو سميعين أو أحدهما عقلياً والآخر سميعياً، وهذا متفق عليه بين العقلاء، لأن الدين عظمي

(١) ج ٧٨ طباعة جامعة الإمام محمد بن سعود.

هو الذي يجب ثبوت مدلوله ولا يمكن أن تكون دلالة باطلة، وحينئذ فهو يعارض ديلان قطعان وأحدهما ناقص مدلول لآخر لزم لجمع بين التخصيص وهو محال، بل كلما يعتقد تعارضه من دلائل التي يعتقد أنها مضمرة فلا بد أن يكون الدليلان أو أحدهما غير قطعي، أو أن لا يكون مدلولهما متناقضين، فأما مع ناقص لمدلولين معنويين فيجتمع يعارض مدلولين مدلولين دون كان أحد الدليلين لمتعارضين قطعاً دون الآخر فإنه يجب تقديمه بناء على العقلاء، سواء كان هو السمي أو العقلي دون النقل لا بدع النفس وأما أن كان حقيقياً صريحاً فإنه يصار إلى طلب ترجيح أحدهما، فأيهما ترجح كان هو مقدم سواء كان سميعياً أو عقلياً

ثم أقال الكلام بما ينبغي ويكفي، رحمه الله تعالى.

ولما كان كلام المؤلف عن المتكلمين يذكر هذا المعنى بوجه بوج مبالغة دفع هذا الوهم بقوله:

والله لم يكذب عليهم إيسا وهم ندي الرحمن معتمدين
وهناك يجرى السعدون ومن على الإلحاد يجرى ثم ينعمران
وبعد أحده من قوله تعالى ﴿وَرَوَّاءُ الَّذِينَ يُثَبِّتُونَكَ فِي أَسْمِهِ﴾
﴿سَيُخْرِجُونَكَ مَا كُنَّا يُقْتَلُونَ﴾ لا عيب ١٨، فالمتحدون يجرى
باعتبار التوبيل، ويثبتون له الأسماء والصفات السابق للإلحاد
المتحددين يجرى هذا بالعموم والاعتراض والاعتداد في حقه ومن
أعلى الكرامات.

فاصبر قليلاً إنما هي ساعة يا مثل الأوصاف للرحمن
فلمول تجني أجر صبرك حين يعني المير وزد الإثم والمدون
فإله سائلنا ومائلهم من الـ إثبات والتعطيل بعد زمان
فأحد حيث جوابنا كافياً عند السؤال يكون فإنيان
يُؤقِّب رحمه الله الميت لصفات الله على صبره على ذلك،
ولو كثر المحامدون ورأى منهم الصبر والصدقة، فإن الصبر
عاقبت حميده، خصوصاً في البحر الذي سفع، وربما أعفاه
في الدب لسعادة وإصلاح ولعم والصلاح، فإن الدب كنها قبل،
وعمر الإنسان منها أهل العقل، وأوقات الأساء والاصحاب سر
يسير بالسية إلى عمره ووفته الله سائل بعد عما كانوا عليه في
الدنيا، فمن كان جوابه أن يقول: قد قلت يا ربي ما قلته في
كتبك وفاته رسولك محمد ﷺ، عهد الحواب المسجي، ومن كان
حوزه تقديم العقول الكسدة والآراء الفاسدة على ما قاله الله ورسوله
رسوله لم يكن ذلك منجياً له من العقاب، ولا موصلاً له إلى
الثواب، فإن الله لا يسأل العبد إلا عما حبا به لمرسدين، فإراداً
وعلماً وعملاً

هذا وثالثهم فتأنيهاً ونهاً لي ما تدل عليه بالبهتان
ذا جاحد الرحمن حقاً لم يقر بخالف أبناً ولا رخص
يعني أن الملحد الثالث هو الثاني لأسماء الله وما تدل

عنه من صعب لكعد بالبهتان والعول الباطل، وهذا أعظم أنواع
الإلحاد، فإنه يتضمن لجحد الخالق وجحد ربه وربه وأوصافه
المقدسة، وذلك كفرعون ونحوه. وكالملاسة الذين يسمون منهم
على جحد رب العالمين.

هذا هو الإلحاد لاجلده لعل الله أن ينجيك من نيران
وتصور سائرهم لئلا وجه المأوى مع الممران والرمون
هذا أي جمع ما يقدم من الأقسام هو الإلحاد شبه المصنف
لأجل أن يحذر منه، فإنه موجب لدخول النار واحلوه منه
موجب للجنة منها، ولنفور بالرائي عند الله في حساب النعيم،
ومن سمعة برضى من لرب تكريم، فإن بعد إد بها من
الإلحاد في أسماء الله وآياته كان متبعاً لكتب الله ولما جاء به
الرسول، وهذا الطريق الموصّل إلى السعادة لأبدية، وإذا فاته هذا
الطريق فما ثم إلا طرق الجحيم.

ولما كان أكثر الناس قد سلكوا طرق المهالك، وامتنعتهم
الشبهات عن سعادتهم إلا سائر منهم، وكانت نفس مجبولة على
وحشة الضرد وعدم الرقيق، حيث المصنف رحمه الله على لزوم
الاستقامة وإن قل الموافق وكثر المخالف، فقال:

لا توحشتك غربة بين الوري فالناس كالأموات في العجان
لوما علمت بأن أهل السنة الله محفياً حقاً عند كل زمان

قل لي متى سلم الرسول وصحبه والتابعون لهم على الإحسان
 من جاهل ومماند ومنافق ومحارب بالبغي والظفیان
 وتظن أنك وارث لهم وما ذقت الأدنى في طاعة الرحمن
 كلا ولا جاهدت حتى جهاده فلي الله لا يبد ولا يلسان
 منك والله المحال النفس فاستحدث سوى ذا الرأي والحسبان
 لو كنت وارثه لأذاك الألى ورثوا عداه بساتر الأكوان

وكل هذا من حكمة الله تعالى، حيث جعل لأهل الحق من يعارضهم ويقاومهم، ويحرم على أذيتهم وردة ما معهم بأي طريق، ليقوم بذلك سبيل الجهاد، وليبين الحق من الباطل، فإن الحق إذا عارضه الباطل وأهله ظهر من أدلته وبرهانه ما يهر العقول، ويوضح واستعلن، وتبين من بطلان الباطل وعساده ما به العبرة لمن اعتبر، وليحصل بذلك التمييز بين الصادق من الكاذب، فمن المؤمن الصادق المنع على الجمعية لا تريد معارضة إلا ثباتاً على ما هو عليه، ويزداد إيمانه ويكمل إيمانه بخلاف من لم يباشر لإيمان نفسه، ولم يصل ببعض في حقه إلى مرتبة الجرم الذي لا شك فيه، فهذا لا يكاد يثبت عند الصحن والقلل، فإنه ممن يعبد الله على حرف، فمع العافية المستمرة ربما لزم ما هو عليه، ومن لطف الله في حق هذا أن لا يقيص له من المحن ما يزيل إيمانه بل يعافيه، وإلا فسنة الله الجارية التي لا تغير ولا تبدل أنه لا بد من الاستلاء، كما قال تعالى ﴿لَهُ أَحَبَّ النَّاسُ أَنْ يُزَكَّوْا

أَنْ يَقُولُوا مَعَكَ وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ۖ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ مَتَابِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٦﴾ [المكوك ٣٦]، فلو سلم أحد من المعارضين من المعادين والماضين والمحاربين لسم الرسول وأصحابه وتابعون بهم بحساب، فمن ظن أنه مبع بهم على الحقيقة وأنه سيسم من الأدنى في سبيل الله فهو غلط، فإنه لا بد أن يكون للرسول وأصحابه وراث، ولأعدائهم وراث، ويقوم سوق الجهاد، فإن الدنيا دار مجاهدة وعبادة، لا محل طمأنه واستقرار، فإن الراحة **انامة في حجاب السمع**، ومن المعلوم أن الراحة لا تترك بالراحة، بل لا بد من التعب والعناء، ولكن قد يهونه الله على عباده المؤمنين فيجدون من لذة المجاهدة في طاعة ربهم أعظم مما يجدونه أهل الشهوات الحسية، وهذا هو الواقع، ولكن مريرة الاستعداد تمنع أكثر الناس عن هذا الأمر العظيم بمضي الله أمراً كان مفعولاً.

فصل

في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركيين

وهذا النوع هو رتبة رسالة الله لرسوله، فإنه كل نبي يبعث الله تعالى يدعو قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، فكل نبي يقول لقومه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۚ﴾، وفان تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقِيُوا الْعَذَابَ﴾ [الحق ٣٦]، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله، وأمرهم

به على السنة رسده، وشرع الجهاد لإقامته، وجعل الثواب في الدنيا والآخرة لمن قام به، وانعاقب في الدنيا والآخرة لمن تركه، وبه العرق بين أهل السعادة وأهل الشقاء، وعلى العبد أن يبذل جهده في معرفته وتحقيقه من كل وجه، فيعرف حده ونفسه، ويعرف حكمه ومرتبته، ويعرف آثاره ومقتضياته، ويعرف شواهد وأدلة وبراهينه وحججه التي تؤيده وتثبته وتقويه، ويعرف شروطه ومكملاته، ويعرف نواقصه ومفاسده، لأنه الأصل الأصل الذي لا تصح الأصول إلا به، فكيف بالفرع، وأما حدة وتفسيره وأركانه ومكملاته فقد ذكرها المصنف في ضمن قوله:

هذا وثاني نوحى التوحيد تو حيد العبادة منك للرحمن
أن لا تكون لغيره عبداً ولا تعد بغير شريعة الإيمان
تقوم بالإسلام والإيمان والـ إحسان في سر وفي إعلان
والصدق والإخلاص ركناً ذلك التوحيد كالركنين للبيان

فحده أن يعلم العبد أن الله هو المألوه المعبود على الحقيقة، فمرده بأنواع العبادة كلها الظاهرة وباطنة، يعني أنه يقوم بالإسلام كالصلاة والركعة والصيام والحج ويحويها من الأعمال لظاهرة، وبالإيمان كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والترم القيام بما أوجب الله وترك ما حرم الله، وبالإحسان كالقيام بحقوق العلم والإيمان والأحسان الصالحة وهي روحها وليها المقصود منها، فيقوم بذلك كله خالصاً لوجه الله تعالى متاباً به

سنة رسوله محمد ﷺ.

وهذان الركبان الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول وركبان، وإن شئت قلت: شرطان لكل عبادة ظاهرة وباطنة، فكل عبادة حلت منها أو من أحدهما فهي باطنة غير معتد بها، قال تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال تعالى ﴿ إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْقَدِيمُ ﴾ [الزمر: ٢٤]، وقال تعالى ﴿ إِنَّا لَنُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَنَأْتِيَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: أخلصه وأصوبه، قالوا: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، فالخلاص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، وقال ﷺ في الحديث الذي روى البخاري ومسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وحقيقة هذا التوحيد أنه يسمى توحيد الإلهية، بالنسبة إلى وصف الله المقتضي لأن يكون هو المحبوب المألوه المعظم للمعبود وحده، ويسمى توحيد العبادة بالنسبة إلى وصف العبد، الذي هو إخلاص جميع أنواع العبادة التي شرعها الله ورسوله له تعالى، فالإلهية وصف الله تعالى، والعبودية وصف العبد، ولهذا جمع الله بين الأمرين في قوله لموسى ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾

(١) عن عائشة رضي الله عنها

[أوله ١٤]، وفي قوله ﴿وَلِلَّهِ رَبِّكَ تَكْوِينُ﴾ [مريم ٣٦]، وقول الرسل لأمتهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾.

وإذا علمنا أن هذا حده وتفسيره، فمن المعلوم أن الداخلين في هذا الاسم متفاوتون تفاوتًا عظيمًا، وأنه بحسب قيام العبد بالإسلام والإيمان والإحسان والأعمال الصالحة علمًا وعملاً وحالاً تكون مرتبة العبد في التوحيد وكماله فيه، والأجر والثواب في الدنيا والآخرة على هذا الأصل، بل كل خير في الدنيا والآخرة فإنه من آثار التوحيد وثمراته، كما أنه كل شر في الدنيا والآخرة فمن آثار ترك التوحيد.

ثم فسر المؤلف الإخلاص والمتابعة فقال

وحقيقة الإخلاص توحيد المراد فلا يزاحمه مراد ثانٍ
لكن مراد العبد يثنى واحداً عما فيه تفريق لدى الإنسان
بمعنى أن الإخلاص حقيقة أن يوحد العبد مراده ومصوده،
فتكون بيته وإرادته متعلقة بالله وحده لا شريك له، فلا يكون لهذا
المراد مزاحم يزاحمه من الأغراض النفسية، بل يكون وصف العبد
الإخلاص لله على الدوام، ويقوم بما يقوم به من الأعمال مستحضراً
لهذا المعنى الشريف، حالاً من الرياء والمقاصد المحالفة لهذا
المقصود، وبهذا يكون العمل صالحاً مقبولاً مشعراً للثواب.

ولهذا قال السيوطي: «إسما الأعمال بالنيات، وبما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله

ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينجسها فهجرته إلى ما هاجر إليه متفق عليه^(١). ففاوت بين المعلنين وصورتهم واحده بحسب تفاوت النية والمقصود. وكذلك لما مثل عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل ليرى مكانه، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» متفق عليه^(٢).

فعلى العبد أن يجاهد نفسه على الدوام في كل فرد من أفراد العبودية على أن يقصد به وجه الله وحده لا شريك له، ويجتهد في دلع الحواطر المثالية لذلك، ليكون الإخلاص له وصفاً وحلقاً، وهو روح التوحيد والأعمال الصالحة، وتتمام ذلك أن يراعي متابعة الرسول ﷺ في جميع أقواله وأفعاله الظاهرة والحمية، وذلك تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فينبغي الإلهية عما سوى الله تعالى، ويشتها الله وحده، ويتحقق بمعناها، ويصدق الرسول في خبره ويطيعه في أمره.

ثم ذكر نموذجاً من الأدلة الدالة على التوحيد والعبادة فقال

إن كان ربك واحداً سبحانه فاعصمه بالتوحيد مع إحسان
أو كان ربك واحداً أنشاك لم يشركه إذ أنشاك رب ثانٍ

(١) من حديث عمر بن الخطاب

(٢) من حديث أبي موسى الأشعري.

كذلك أيضًا وحده قاعده لا تعبد سواه بما اتخا العرفان

يعني إذا كنت مقرًا بأن ربك واحد فهو الحائق الرارق المربي
لث ولسائر المحلوقات، فحده بالتوحيد والأعمال الصالحة، وما
علمت أنه الذي أنشأك وحده من غير مشارك له ولا معاون،
فكذلك اعبد وحده لا تعبد غيره ممن لم يكن كذلك. وهذا
الدليل - وهو الاستدلال بتوحيد الربوبية على صحة توحيد العبادات -
كثيرا ما يذكره الله في كتابه، ويسدل على المشركين الذين يكرهون
توحيد الألوهة، فسرهم بأنواعهم توحيد الربوبية على ما أنكروه
من توحيد لإلهيه، كما قال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ مَرْبُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمَنْ
يُدْخِلُ الْمَيِّتَ فِي الْحَيِّ قُلْ مَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس/ ٣١]، وقال
تعالى ﴿ قُلْ لَيْسَ الْإِلَهُ إِلَّا اللَّهُ كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ [سجدة/ ١٧]، وقال
﴿ قُلْ أَفَلَا تَدْعُونَ ﴾ [قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ] [سجدة/ ١٧]
﴿ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [قُلْ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِهِ مَلَكُوتٌ كُلُّ شَيْءٍ مُوقَفٌ
عَلَيْهِ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ إِلَّا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ] [سجدة/ ١٧]، وقال ﴿ قُلْ أَفَلَا
تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون/ ٨٤-٨٩] إلى غير ذلك من الآيات

وهذا دليل واضح جدًا ينتقل اللعن منه إلى المدلول بأول
وهذه، فإنه إذا كان من المعلوم المقرر عند كل أحد حتى المشركين
بأن الله هو الحائق وحده المدير لجميع الأمور، وكل ما سواه
مخلوق مبدى، فإن العقل والبطر يجزمان بتعين عبادة الله وحده،
وأنه المستحق للعبادة دون من سواه ممن لا يملك نفعًا ولا ضرًا

ولا حياة ولا مشورًا، ولا له من الكمال ما يقتضي أن يعبد لأجله.

واعلم أن أدلة التوحيد كثيرة جدًا يعسر حذ أنوعها، فضلًا عن
أفرادها، ولكن سنقتل هنا عبارتنا في التفسير على قوله تعالى
﴿ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعِذْ بِيَدِهِ] [آل عمران/ ١٩]

قلت: العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفة بما طلب منه
علمه، وتماعه العمل بمقتضاه، وهذا العلم الذي أمر الله به وهو
العلم بتوحيد الله فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد
معه عقله، كائن من كان، بل كل مضطر إلى ذلك.

والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله أمور:

أولها: بل أعظمها تدبر أسمائه وصفاته وأفعاله الدالة على
كبره وعظمته وجلاله، فإنها توجب بذل الجهد في التأمل والتعبد
لرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك
أنه المنفرد بالألوهية

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالسم الظاهرة والباطنة والدينية
والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبة والتأله له وحده
لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأولياته والقائمين بتوحيده
من النصر والسم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن

هذا داع إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لمبيدتها قفلاً ولا خيراً ولا حياً ولا موتاً ولا نشوراً، ولا ينصرون من عبدهم ولا يعصونهم بمضال درة من جلب غير أو دفع شر، فإذن معرفة ذلك والعلم به يوجب العلم بأنه لا إله إلا الله وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقلاً ورأياً وصواباً وعيلاً وهم لرسول والأب، والعلامة لرسول قد شهدوا له بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الألفية والنفسية التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعه وبديع حكمته وعرائث خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا هو، وأيداعها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت وانفقت، وقامت براهين التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعزم في قلب العبد بحيث يكون أعظم من الحال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يرداد على تكرار الباطل والشبه

إلا محوًا وكمدلاً. هذا وإن نظرت إلى الدين العظيم ولأمر الكبير وهو تدبر هذا القرآن العظيم والتأمل في آياته، فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد، ويحصل به من تفاصيله وجملة ما لا يحصل في غيره، إلى آخر ما ذكرته على تلك الآية الكريمة.

وهذه المذكورات أجناس وأنواع للادلة، لو فصلت وبسطت لبلغت شيئاً كثيراً.

قل المصنف في مدارج السالكين^(١) لما ذكر توحيد المبطلين والمشتبين.

فصل

وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه فوريه ذلك كله، وهو نوعان: توحيد في المعرفة وإثبات، وتوحيد في الطلب والقصود.

الأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلوه فوق سمواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده وإثبات عموم قضاءه وقدره وحكمه، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع حد الإفصاح، كما في أول الحديد وسورة طه وآخر سورة الحشر وأول تنزيل السجدة وأول آل عمران وسورة الإخلاص بكاملها وغير ذلك

(١) ج ٣ ص ٤٤٩ مطبعة أنصار السنة

خفته ووصفه، وأعماله مقرونة به، والصدق والاجتهاد قرينه وحامله،
وتنازع الرسول طريقه، فهو يسبق حقا، المستوي على سعة سي
لا غاية فوقها، والكمال الذي لا كمال مرفقه، وحصلت له السعادة
والعلاج، والفرور ولا ناج، لا يحلف كذبا بعد حرمه مدية
على فقد واحد من هذه الثلاثة أو اثنين أو كلها

له قلب شام هاتيك البرور	ق من الحيام فهم بالطيران
لولا التعلل بالرجاء تصدعت	أهواره كتصدع الحيران
ونراه بسط الرجاء فيني	متابلاً كتمايل الشوان
ويصود بقضه الإنسان لكسره	منحرفاً عن رفة الاحسان
لثراء بين القبض والبسط اللذا	ن هما لأفق سمائه قطبان
ويبدله سعد النود لصار مس	مراه عليه لا على الشيران
له ديساك الفريق لإنهم	خصوا بحصة من الرحمن
شدت ركاتهم إلى معبودهم	ودسوفه بإغية الكلال

يتعجب المؤلف رحمه الله ويستعظم من قلب من الله عليه
بالتحقق بالصدق والإخلاص والمانعة، حتى صارت له بقاء،
وصارت رعيته كلها في مراعي ربه في كل وقت، فكلما بدا له
مربة من مازل الساترين وحصة من حصال العامين يادر إليهم
شوقاً ومحبة، وانعاد لها طوعاً واحتاراً، مربة من طابع السوي
من حام الألفة عن نفيد، فصار فيه يدعه، حتى يكاد يهمل أن

يطير إلى أحبابه ويتمتع بلفائهم، الذي هو ألد للمحبين، يمر
عبيهم من أرواحهم، فلولا أن يحب يعمل بقرت لقاء ويحدث
بعضه بجماعه بأحبه لصدعت أعشار قلبه، أي حروبه، كتصدع
الحيران الذي حيره الحب وذهب بشموه.

كذلك المحب لله تعالى، يجهد نفسه في مراعيه حتى تنمو
محبه الله في قلبه، ويحدث به لشوق وانس، فلولا أنه بلاطف
نفسه بوجاه اللقاء لذابت نفسه واحترق ليه، ثم إذا نظر إلى نفسه
وتقصيره ونحلته عن رفقة السابقين قبضه اليأس، فتجده بين
الحواف والرحمة اللذين هما معدته وأعماله كالقطبين في سحوم

فالمبادات كلها تدور على الحواف والرجاء، فيرجو العبد
قولها وتغريها به، ويخاف من ردها وعدم القيام بها ويحفرها
ن ينظر إلى رحمه الله ويضعه المسح به باب الرجاء ويطلع، وإن
نظر إلى نقصه وما يسحقه الله من لعبودية التي لا يمكن العمل
القيام بها أحدث له انقاص، ويحدث الحواف والرجاء بعدد سير
العبد، فإذا رجع حانت الرجاء خيف الأمن من مكر الله، وحصل
الإدلال ونشطع الذي لا يسبق بالمحقوق، وإن رجع حانت الحواف
خيف منه اليأس والفتوط من رحمة الله.

وهذه المراتب الثلاث المحبة والخوف والرجاء أصل أعمال
العبود، وبها تسم الأعمال لظاهرة وباطنه، كت جمعها الله
في قوله ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِفْ رِيَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْهِمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُ وَيَخْشَوْنَ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ روضة ٥٧

وقول المصنف: ويداله سعد السعود، اليث يحتمل أن مراده بهذا التشبيه أن سير هذا الفريق لما كان مصاحباً للحوف والرجاء، وكانت روحه المحبة كان سيراً مجسوداً مثله إلى العز والملاح، والعلو وحصول الأرباح، بخلاف من كان سيره سير الطالين أهل الكل فإن سيرهم إلى وراء. قال تعالى ﴿لَيْسَ شَأْنُكُمْ أَنْ يَتَذَمَّ أَوْ يَتَفَرَّ﴾ [المذثر/ ٣٧]

ويحتمل أنه أراد بسعد السعود السير على متابعة الرسول والاقتداء بهديه، ونجيب السير على الدبران، كالسير خلف كل من خالف الرسول. وقوله: له ذيك الفريق، أي الموصوف بثلاث الصفات الحميدة.

وهذا التصغير المراد به التعظيم والتعجب من حسن حالهم وعلو قدرهم، ولهذا قال: فإنهم خصوا بحالصة من الرحمن، أي أحلصهم الله من كل كدر وأخصهم بولايته قال تعالى عن حيدر أماله ﴿إِنْ أَحْصَيْتُمْ إِحْسَاءً وَكُفَى الدَّرَجَاتِ﴾ [ص ٤٦]، أي جعله ذكر الله في الآخرة في قلوبهم وأعمل لها صعوة وفهم، والإخلاص وإسرافه لله وصفهم لذنوبهم، وجعلهم ذكرى لغيره، يتذكر بأحوبهم المذكر، ويعتبر بهم المعبر، ويذكرون بأحسن الذكر وقوله شددت ركاتهم إلى معبودهم، هذا هو الإخلاص لله ورسوله بالمتابعة، باخية الكسلان الذي تحلف عن طريقهم، ولم يسلط مسلكهم في طريقهم

فصل

في بيان ما ينقص هذا التوحيد

من الشرك الأكبر والأصغر ووسائل ذلك

والشرك لأجله فشرک ظاهر إذا القسم ليس بقابل الغفران وهو اتعاذ الله للرحمن أيًا كان من حجر ومن إنسان يدموه أو يرجوه ثم يخافه ويحببه كمحبة الرحمن

يعني أن الشرك نوعان: ظاهر، وهو الشرك الأكبر المخرج من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفران، الذي لا يخفره الله ولا يدخل صاحبه الجنة، بل هو من أصحاب النار. وحده اتحاد له بالرحمن من الملائكة أو الرسل أو الأوبياء أو الحيوانات أو الجمادات، يتقرب إليه كما يتقرب إلى الرحمن بالدعاء والخوف والرجاء وسجدة وسائر أنواع العبادة، فحقيقته أن يصرف بعد نوع من أنواع عبادة غير الله تعالى، وسوء سمى من تقرب إليه بدلت بها أم لا قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء/ ٤٨] وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا تَرْهَنَ يُؤْتِيهِ فُلُوكًا جِثَامٌ عَنْ رِيَّةٍ إِنَّهُ لَا يَفْصِلُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمن ١١٧] وقال تعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا نَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس ١٠٦] ﴿وَأَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [سج ١٨] وقال تعالى ﴿إِنَّكُمْ مِّنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة/ ٧٢] إني غير ذنب من الآيات لدالات على كفر من عبد مع الله غيره

وخلوده في النار

وأما الشرك الأصغر فهو كل وسيلة قريبة موصلة إلى الشرك الأكبر إذا لم تصل إلى رتبة الماشقة، كالحلف بغير الله والرياء والتسرع للمحفوظين وسعوا في الأموال وسعوا فيك، فلا يتم بعيد التوحيد حتى يتبرأ من الشرك كله ظاهره وباطنه، ويخلص لله أعماقه كلها

وهذا لتوحيد لدي هو عبادة الله وحده هو الذي أنكره المشركون على رسول الله ﷺ وقالوا: ﴿ أَجْعَلُ الْآيَةَ إِنَّمَا وَجَّهًا بَيْنَ يَدَيْ لِقَاءِ غِيَاثٍ ﴾ [إس ٥٤] وهم مقرون بتوحيد التريونية، والله المالك وما سواه مملوك، ولهذا قال المصنف:

خلق ولا رزق ولا إحسان	والله ما ساووههم بالله في
ق مولي الفضل والإحسان	فإنه عندهم هو الخلاق والرزاق
حب وتعظيم وفي إيمان	لكنهم ساووههم بالله في
جعلوا المحبة قط للرحمن	جعلوا محبتهم مع الرحمن ما
عادوا أحبه على الإيمان	لو كان حينهم لأجل الله ما
محبوبه ومواقع الرضوان	ولما أحبوا سخطه وتجنبوا
سب على محبته بلا عصيان	شرط المحبة أن توافق من تحب
لك ما يحب فأنت ذو بهتان	إذا ادعيت له المحبة مع خلا

أَتَحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدْعِي حَيًّا لَهُ مَا ذَاكَ قَوْلُ امْرِئٍ

وكذا لعادي جهاداً أحبابه أين المحبة يا أخا الشيطان

يريد المؤلف رحمه الله قول الله تعالى عن أهل النوح حين رأوا
مضلا عابدها ﴿فَاللَّهُ إِنْ كُنَّا لِنَهِيَنَّاهُ عَنْ ذِكْرِهِمْ أَنَّكَ تَقُولُ
أَلَمْ يَلْبِسْ إِلَهُكُمُ الْغُلُوبَ﴾ رشم ٩٧ - ٩٨، أي أنهم ما ساءروهم بالله بالحق
والرقي والإحسان، فإِنَّ المشركين كما تقدم مقرون بأن الله هو
الحالقي البارق المتعاض بالنعم الظاهرة والباطنة، وربما ساءروهم
بذلك في الحب والتعظيم والعبادة، فأحبوهم مع الرحمن وشركوهم
فيها، كما قال تعالى ﴿وَمِمَّنْ آتَيْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ يَدْعُوا بِهِمُ
أَسْمَاءَ اللَّهِ﴾ [البقرة/ ١٦٥] فهذا الحب مع الله الذي يشرح في
النوحيد هو كانت محبتهم بهم لله أو لأخيه لأخيه، ما يحبه الله من
الأعمال والأشخاص، فإن هذا علامة المحبة لله.

وأما من زعم أنه يحب الله ثم عادى أولياءه الله وعادى ما يجب
الله من الأعمال، ووالى أعداء الله وما يحضه من أنواع المعاصي،
فهذا كاذب في دعواه. فإن شرط المحبة موافقة المحبوب في
محاببه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾
[آل عمران/ ٣١]، وكما قال تعالى: ﴿ يَكُونُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَرْنَةِ رِبِّكَمْ عَى
وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ بِقُوَّةٍ يَنْحَرِفُونَ أَفُولُوا عَلَى الْكُفَرِينَ ﴾
[التوبة/ ١٢٥]، ولا يخافون لومة لائم ﴿ والمائدة ٥٤

ومن صفات المحبين في أنهم **الشيئ بالشيء المحيرون**

الْمُتَحَبُّونَ الْمُتَحَبُّونَ الْمُتَحَبُّونَ الْأَمْزُورُونَ يَتَفَرَّقُونَ وَكَانَ هُؤُلَاءِ
عَنِ السَّعْيِ وَالْقِيَامِ وَالْجِدْوَالِ وَالْجِدْوَالِ وَالْجِدْوَالِ وَالْجِدْوَالِ (١٠٠)

فالمحبة ثلاثة أنواع

محبة الله، وهي روح التوحيد وأصل العبادات والضرعات كلها.

ومحبة في الله، وهي محبة ما يحبه الله من أنبيائه وأوليائه
والأعقاب بحسبه من الله، وهذه من مقام محبة الله، وبحسب قوة
محبة الله تقوى هذه المحبة. ولهذا ورد في الدعاء المشهور:
«اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب العمل الذي
يقرب إلى حبك» (١).

والثالث: المحبة مع الله، وهي محبة المشركين لأهلهم مع
الله محبة عوديه، وهذه من مقام محبة الله من كل وجه، وثمة محبة
طبيعة لا يعمد ولا يمد ولا لا تارها، كمحبة العدم والشراب،
ومحبة الأليف والوطن ونحو ذلك.

بس الصابغة غير موحدة إلى محبة مع حضور القلب والأركان
بعضي أن حقيقة المحبة هي توحيد الصفة والعدل، وسعظم الله
تعالى، فإن العبادة حب كامل وذل تام للمحبوب.

والحب نفس وفاته فيما يحبه ويضيق صلا ببرطسي بيجان

(١) روى الترمذي عن أبي الدرداء

وفاته نفس اتباعك أمره والفقد وجه الله في الإحسان

هذا هو الإحسان شرط في قبول النسي لافهمه من القرآن

والإسراع بدون شرع رسول غير المحسن وأبطل البطلان

فلذا ثبتت كتابه ورسوله وتبعت أمر النسي والشيطان

ومحذات أمدد تحبهم كحب الله كتب محاسب الإيمان

يريد رحمه الله أن المحبة في الحقيقة نفس موافقة الله في
محبة ما يحبه وبعض ما يعصيه، وذلك يتحقق باتباع أمر الله الذي
شرعه على لسان رسوله محمد ﷺ في أصول الدين وفروعه في
طهره وسطه، مع الإخلاص لله تعالى وإرادة وجهه الأعلى
وهذه الموافقة بمنتهى على الصابغة والإخلاص هي الإحسان
الذي قال الله فيه ﴿يَتْلُوكُمْ أَكْثَرُ حَسَنَ عَمَلًا﴾ (٢) أي أحسنه
وأحسنه، وفي قوله ﴿لَذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (٣) روى ١٠٦
وفي قوله ﴿إِنَّا لَا نَتَّبِعُ خَيْرٌ مِنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٤) الكهف ٣٠

ومتابعة لا تمكن إلا باتباع الرسول ﷺ، فمن صد كتابه الله
وسمعه رسوله، وتبع أوامر الله وأمره بالسوء، واشتد على
لا يأمر إلا بالسوء، ويحذر، واتحد من دون الله أمدد يحبهم
كحب الله، خرج من الإيمان من حيث يعنى أنه مؤمن، فإن تحدد
الأمدد من دون الله منافق لغيره لا إله إلا الله، وإن لحروح من
الاعتداء بالكتاب والسنة منافق لشهادة محمد رسول الله، وما
أكثر من هو بهذا بوصف من يشتد إلى الإيمان والتعظيم، كما

ولقد رأينا من فريق يدهي الله
 جعلوا له شركاء واللهم وسو
 والله ما ساووههم بالله بل
 والله ما غضبوا إذا انتهكت محام
 حتى إذا ما قبل في الوثن الذي
 فأجارك الرحمن من غضب ومن
 وأجارك الرحمن من ضرب وتم
 والله لو عطلت كل صفاته
 والله لو خالفت نص رسول
 وتبعت قول شيوخهم أو غيرهم
 حتى إذا خالفت آراء الرجا
 نادوا عليك ببذعة وضلالة
 قالوا تنقص الكبار وسائر ال
 هذا ولم تلهم حقاً لهم
 وإذا سلبت صفاته وعلوه

لم يغضبوا بل كان ذلك عنهم
 والأمير والله العظيم يزيد قو
 وإذا ذكرت الله توحيداً رأيت
 وجههم مكسوفة الألوان
 بل ينظرون إليك شراً مثل ما
 نظر النورس إلى عصا الجويان
 وإذا ذكرت بمدح شركاءهم
 يتبشرون بتباشير الفرحان
 والله ما شمسوا وواقع دينه
 يا زكمة أحييت طيب زمان

وهذه الآيات واضحة المعنى. والأمر كما قال المصنف عن
 هذا الفريق المنتسب للإسلام، الذي يقتضي منهم تعظيم
 ربهم، والقيام له بحق العبودية، ولرسوله بحق الرسالة، فعكسوا
 القضية، فاتخذوا لهم أنداداً من دون الله، يعبدونها ويغضبون لها
 أعظم مما يغضبون لله، والدليل على هذا أنه لو انتهكت محارم الله
 لم يغضبوا، وإذا قبل فيما يتحلونه من ذلك الوثن بعض ما فيه من
 النقص اشتد غضبهم، ويتباشرون إذا مدحت شركاءهم، وإذا ذكر
 توحيد الله تغيرت وجوههم واشمأزوا، وكذلك جعلوا لهم رؤساء
 يطيعونهم في كل حال، وجعلوهم بمنزلة الرسول المعصومة أقواله
 وأفعاله، فيقدمون طاعتهم على طاعة الرسول، ومن خالفهم لقول
 الرسول رموه بأنه متفصص لهم مبغض، فهل بقي بعد هذا إيمان،
 ولكن لكثرة الإساس قل الإحساس، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

فسألك اللهم العفو والعاقبة والمعاذة في الدنيا والآخرة.

وأن تحفظ لنا ديننا من كل شرك وشبهة وبدعة وضلالة ومعصية،
إنك على كل شيء قدير.

ثم ما أردت تعليقه، والله الحمد والمئة والفصل والإحسان،
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. فرغت من
تسويده في ٢٣ شعبان سنة ١٣٤٤، وأنا الفقير إلى الله عبد الرحمن
بن ناصر بن سعدى.

وتم نقله من خط المؤلف شيخنا رحمه الله في ٢٠ شوال سنة
١٤١٩، بقلم الفقير إلى الله محمد بن سليمان بن عبدالعزيز آل
يسام، غفر الله له ولوالديه ولشيخه وللمسلمين.

بلغ مقابلة ونصحيها على نسخة بخط المؤلف، وذلك بحسب
الإمكان، بقلم كاتبه وابنه منصور، نسأل الله المتقرة والرحمة في
١٢ ذي القعدة سنة ١٤١٩.

فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٩	خطبة المؤلف
١٢	فصل في بيان توحيد الأنبياء والمرسلين
١٤	توحيدهم نوحان
١٩	الأول التنزيه للرحمن
٢٣	هذا وثاني نوعي السلب
٢٥	فصل في النوع الثاني
٢٦	حي مريد
٢٧	هو أول هو آخر
٣٠	وأما عبوديته باسمه الظاهر
٣٢	وأما تعبده باسمه الباطن
٣٧	وهو العلي فكل أنواع العلو
٣٨	وهو العظيم بكل معنى
٣٩	وهو الجليل فكل أوصاف الجلال
٤٤	وهو السميع يرى ويسمع وهو البصير
٤٦	وهو العليم أحاط علما
٥٠	فصل وهو الحميد فكل حمد
٥٢	من كتاب سفر الهجرتين فصل
٥٩	فصل وهو المكلم غيبه موسى
٦٠	النوع الثاني تكليمه لعباده بواسطة
٦١	وهو القدير وهو القوي

الموضوع	الصفحة
وهو العزيز قلن برام جنبه	٦٩
وهو القتي وهو الحكيم	٦٥
والحكمة العليا على توسع	٧٢
وهو الحي فليس يفتح عينه	٨٥
وهو الحليم فلا يعاجل عبده. وهو العفو	٨٧
وهو الصبور على آذى أعدائه	٨٩
فصل وهو الرقيب على الخواطر	٩١
وهو الحفيظ عليهم. وهو الكفيل بحفظهم	٩٣
وهو النظيف بعبده ولعبده	٩٥
فصل وهو الرقيق يحب أهل الرقيق	٩٨
وهو الغريب وقربه المختص	٩٩
وهو المجيب يقول من يدعو	١٠٣
وهو الجواد فجوده عم الوجود	١٠٤
وهو المغيث لكل مخلوقاته	١٠٥
وهو الودود يحبهم ويحب	١٠٧
وهو الشكور قلن يضيح سمعهم	١١٠
وهو الغفور قلن أتى بقرابها	١١٥
وكذلك الثواب من أوصافه	١١٦
وهو الإله السيد الصمد	١١٨
وكذلك القهار من أوصافه. وكذلك الجبار	١١٩
فصل وهو الحبيب حباية وكفاية	١٢١
وهو الرشيد فقله وفعاله	١٢٢
والعدل من أوصافه في فعله	١٢٤
فصل ومن أوصافه القدوس. وهو السلام	١٢٤

الموضوع	الصفحة
والبر في أوصافه سبحانه	١٢٨
وكذلك الوهاب من أسمائه. وكذلك الفتاح	١٢٩
وكذلك الرزاق من أسمائه	١٣١
فصل ومن أوصافه القيوم. والحي يتلوه	١٣٣
هو قايض هو يسطر	١٣٥
وهو المعز لأهل طاعته. وهو العدل لمن يشاء	١٣٦
هو مانع معطي فهذا فضله	١٣٧
فصل والنور من أسمائه	١٣٨
فصل وهو المقدم والمؤخر	١٤٥
فصل اعلم أن المصنف قد استوفى معظم شرح الأسماء	١٥٤
فصل هذا ومن أسمائه ما ليس يفرد	١٥٦
فصل ودلالة الأسماء	١٥٨
قاعدة أصولية وكلام تقى من يدافع القوائد	١٥٩
تعديل الناظم من الألحاد في أسماء الله وصفاته	١٧١
ما وقع فيه الشركون وأهل الاتحاد ومن تبعهم ممن يدعي الإسلام	
من الألحاد في أسماء الله وصفاته	١٧٣
المعطلون ومن تبعهم يدعون التصوح	١٧٥
ما وضعوا لدفع التصوح وهو معارضة العقل للنقل	١٧٨
كلام شيخ الإسلام في إبطال ما وضعوا	١٨٠
قَسَمُ الناظم أنه لم يكذب عليهم فيما ذكره عنهم	١٨١
نصيحة للمثيبين لأوصاف الله بالصبر	١٨٢
النافي لصفات الله هو ثالث المشركين والمعتلين وهم الملحدون	١٨٢
حث الناظم على لزوم الاستقامة وإن قل أصحابها	١٨٤
فصل في النوع الثاني من توحيد الأنبياء والمرسلين	١٨٥

الموضوع	الصفحة
حقيقة الإخلاص توحيد المراد	١٨٨
لئلا يحدثك واحدًا في واحد	١٩٥
بتمجيب الناظم ممن ذكر حالهم في الاستقامة	١٩٦
فصل في بيان ما يناقض التوحيد	١٩٩
تحذير الناظم من الشرك	١٩٩
المحبة موافقة الممحبوب فيما يحب	٢٠٠
روية الناظم الشرك ممن يدعي الإسلام	٢٠٤

• • •

تصويبات توحيد الأسماء والمرسلين

طبعة دار علم الفرق ١٤٢٠ هـ الطبعة الأولى

صفحة	رقم الخط	خطا	صواب
٤١	الأخير	ولو	لو
٤٨	١٥	الوجود	الموجود
٥٤	قبل الأخير	حمدًا وندمًا	حمدًا أو ندمًا
٧٤	٦	ليصنعها	تتضمنها
٨٨	١٠	رواه مسلم	رواه الترمذي
٩٩	٤	رفع	دفع
١٠٦	٥	أشار إليه النبي	أشار النبي
١٠٥	١٤	ومن رجوة	ومن جودة
١١٠	٥	القائلين	القائلين
١١٩	١٨	أمن	أم من
١١٩	٢٠	الله فقل	الله
١٢٧	٣	كا	كله
١٢٩	١٤	احدا	أحد
١٥٨	٧	٤	٣
١٦٢	١٦	يكون	تكون

تم التصحيح بقلم الفقيه إلى مولانا محمد بن سليمان قيسام لعام ١٤٢٥/٦/١ هـ